جريدة الكتائب

جريدة مستقلة تسلط الضوء على الواقع الميداني وأهم التطورات على التراب السوري

العدد التاسع والعشرون | عدد الصفحات 12 صفحة
السعر: 15 ليرة سورية

الكتائب | العدد التاسع والعشرون |الأحد 2014/06/15

www.facebook.com/alkataebjareda

عبث الداعمين في الثورة السورية

صفحة 3

الافتتاحية

أكاذيب مكشوفة

دأبت الولايات المتحدة، ومن خلفها الكثير من دول العالم، على إطلاق التصريحات الرنانة عن فقدان الأسد لشرعيته، وعن وجوب رحيله، وأن أيامه باتت معدودة، ولم تقترن تلك التصريحات بأي فعل عملي على الأرض أو المشاركة بجهد فعال يصب في مصلحة الثورة السورية.

بل على العكس، كانت جميع أفعالهم تصب في خانة تفكيك المعارضة، وتفكيك كتائب الجيش الحر والعمل على تشتيتها.

كانت تلك التصريحات مجرد أكاذيب هدفها إعلامي بالدرجة الأولى، أما الواقع على الأرض فيشير إلى تغاضي تلك الدول عن دعم حلفاء الأسد له، وفي مقدمتهم نوري المالكي الذي نصبته الولايات المتحدة على حكم العراق قبل أن تغادره.

استطاع النظام مؤخراً إجراء الانتخابات، ورغم كونها مهزلة بكل ما تعنيه الكلمة، لم يعقب ذلك أي فعل من قبل واشنطن وحلفائها سوى تصريحات فارغة تفتقد إلى أي معنى.

تشير التطورات الأخيرة إلى أن صمت العالم جزء من خطة مرسومة لإعادة ترتيب المنطقة بالكامل، فسيطرة تنظيم داعش على محافظات كاملة في العراق، إضافة لما تسيطر عليه في سوريا، يضع المنطقة بأكملها على حافة الهاوية، وينذر بتشظٍ خطير قد يصيب دول المنطقة، وبكل تأكيد فواشنطن على علم بكل ما يجري، وربما كانت المخطط والداعم الرئيسي له في إطار مشروعها الغني عن التعريف، الشرق الأوسط الجديد.

هيئة التحرير

هل مايزال الحل السياسي ممكنا

صفحة 8

مشروع التوطين في سورية

صفحة 9

الشهيد محمد طيب إسماعيل الغزال

صفحة 10

مفهوم السيادة في القانون الدولي

تثير المتغيرات الراهنة في النظام الدولي التساؤلات حول مصير السيادة الوطنية للدولة، هذه السيادة التي تعتبر إحدى أهم المقومات الأساسية التي تبنى عليها نظرية الدولة في الفكر السياسي والقانوني، وإحدى أهم أسس التنظيم الدولي التي تنظم العلاقات بين الدول وتحدد حقوقها وواجباتها. فهناك من يبشر بنهاية السيادة، ومن ينظر بتقليص السيادة أو بنسبيتها، ومن يدافع عن استمرارية السيادة.

مفهوم السيادة:

السيادة مفهوم قانوني- سياسي يتعلق بالدولة باعتباره أحد أهم خصائصها وسماتها الرئيسية. وهي شرط من الشروط الأساسية لاعتبار أي كيان سياسي دولة، أي عضواً في المجتمع الدولي .

يرتبط مفهوم السيادة بمفهوم الاستقلال. فالدولة المستقلة هي الدولة السيدة القادرة على ممارسة مظاهر سيادتها على الصعيدين الداخلي والخارجي بحرية دون تدخل من أحد. على هذا فإن مفهوم السيادة ينطوي على معنيين. من جهة أولى، السيادة تعني السلطة العليا والمطلقة التي تتمتع بها الدولة لمزاولة وظائفها وممارسة صلاحياتها داخل إقليمها الوطني دون أن تنازعها أو تتد خل فيها أية دولة آخرى. وهذا، هو المعنى الأساسي والمركزي لمفهوم السيادة، وهو ما يطلق عليه تسمية السيادة الاقليمية.

ومن جهة ثانية، فإن السيادة تعني الأهلية التي تتمتع بها الدولة للدخول في علاقات والتعامل على قدم المساواة، بندية وتكافؤ مع الدول الأخرى علي الصعيد الدولي. وهذا المعنى يرتبط بمفهوم الشخصية الدولية.

السيادة هي التي تخول الدولة الحق بالتشريع وتطبيق قوانينها ومحاكمة الأشخاص والأفعال داخل إقليمها الوطني، والحق بالدخول بعلاقات مع الدول الأخرى وعقد الاتفاقات والمعاهدات الدولية وإرسال ممثلين ودبلوماسيين يمثلونها في الدول الأخرى، والحق بالتمتع بالحصانات والامتيازات في الدول الأخرى وأمام محاكمها، وهذه هي الحقوق التي يشملها مفهوم السيادة في القانون الدولي.

والسيادة هي التي تكفل المساواة والتكافؤ بين الدول واحترام الاستقلال السياسي والسلامة الاقليمية للدولة، وتوجب عدم تدخل أية دولة في شؤون دولة أخرى.

فالسيادة هي التي تضمن لكيان سياسي ما وجوده واستقلاله ومساواته وندیته مع الكيانات السياسية الأخرى المكونة لمجتمع الأمم. وهي بهذا المعنى تتماهى مع مفهوم الاستقلال.

نشأة مبدأ السيادة وتطوره عبر الزمن:

يرتبط ظهور مبدأ «السيادة» في قانون الأمم (القانون الدولي العام) مع انبثاق الدولة القومية (الحديثة) في أوروبا بعد معاهدة وستفاليا ١٦٤٨، التي أنهت حرب الثلاثين عاماً الدينية في القارة الأوروبية. فهذه المعاهدة أقرت مبدأ «سيادة الدولة» باعتبار هذه السيادة هي سلطة الدولة العليا والمطلقة على إقليمها، أي حق الدولة في ممارسة وظائفها وصلاحياتها واختصاصاتها داخل إقليمها القومي دون تدخل من أية دولة آخرى. وقد أقرت معاهدة وستفاليا مبدأ السيادة في العلاقات الدولية كمبدأ يكفل المساواة والتكافؤ بين الدول ويمنع تدخل دول في شؤون دول أخرى. وعليه، اعتبر أي تدخل من قبل دولة ما في شؤون أية دولة أخرى عملاً غير مشروع.

هذا المفهوم لمبدأ السيادة، الذي أقرته معاهدة وستفاليا والذي حكم وهيمن على العلاقات بين دول القارة الأوروبية خلال القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، سرعان ما انتشر ليشمل العلاقات بين دول العالم جميعاً في المرحلة التي تلت.

وجاءت معاهدة «مونتافيديو» في العام ١٩٣٣ ، المتعلقة بحقوق وواجبات الدول، لتأكد على هذا المفهوم عندما اعتبرت أن جميع الدول متساوية وتتمتع بنفس الحقوق وبنفس الأهلية لممارستها، وبأنه لا حق لأية دولة بالتدخل في الشؤون الداخلية لدولة أخرى. وتبنى ميثاق الأمم المتحدة الموقع في العام ١٩٤٥

هذا المفهوم، وحدد المبادئ التي على منظمة الأمم المتحدة والدول الأعضاء العمل بموجبها لتحقيق مقاصد المنظمة، وهي مبدأ المساواة في السيادة، ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة، ومبدأ الامتناع عن التهديد أو استخدام القوة ضد وحدة أو سلامة أراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة. فبمقتضى هذا الميثاق فإن جميع الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة متساوون في الحقوق والواجبات، ولهم الحق في المشاركة والتصويت في أعمال المنظمة وفقاً لقاعدة أن لكل دولة صوت واحد.

على الرغم من أن جوهر مفهوم السيادة كما أقرته معاهدة وستفاليا لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر منذ هذه المعاهدة، إلا أن مجال ومدى وحدود السيادة هي التي خضعت للتطور والتغيير عبر الزمن.

فخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، عصر انبعاث الدولة القومية، لم تقبل الدول بأي قيد على سيادتها، فمارست سلطة مطلقة دون أي قيد أو حدود داخل إقليمها الوطني.

غير أن هذا الموقف بدأ يتغير بعد النصف الثاني من القرن العشرين. فالدول بدأت تقبل، من أجل صالح المجتمع الدولي، بعض القيود والحدود على تصرفاتها الداخلية والخارجية.

فأخضعت بعض صلاحياتها السيادية لبعض القيود، وتم ذلك إما بحكم المعاهدات أو الاتفاقات الدولية، أو بحكم قرارات المنظمات الدولية (العالمية أو الإقليمية)، أو بمقتضى قرار ذاتي منها. ونتيجة لذلك لم تعد السيادة التي تتمتع بها الدولة مطلقة.

فنشوء المنظمات الدولية بجميع أنواعها (العالمية والإقليمية، السياسية والأمنية والمتخصصة) وتطور العلاقات بين الدول والمتغيرات المصاحبة للعولمة وثورة التكنولوجيا هي التي حتمت تكييف مبدأ السيادة وبالتالي تقييد الحقوق والصلاحيات والوظائف السيادية للدولة بما يكفل مصالح المجتمع الدولي. وبذلك لم يعد التدخل في الشؤن الداخلية للدولة أمراً غير مشروع، كما كان في الماضي، بل أمراً جائزاً تبرره الحقائق الراهنة.

ومن أبرز نواحي الشؤون الداخلية للدولة التي طالها التدخل الدولي هي علاقة الدولة مع رعاياها خاصة في مجال حقوق الانسان والحريات العامة، والسياسات المالية والاقتصادية والإدارية للدولة. وطال التدخل أيضاً جميع نواحي العلاقات الاقتصادية بين الدول.

وأبرز مظاهر التدخل في شؤون الدول والتي تحد من السلطات والصلاحيات السيادية للدول نجدها في ميثاق الأمم المتحدة الذي جعل صلاحيات واختصاصات هذه المنظمة تشمل بالإضافة للنواحي السياسية والأمنية المجالات الاقتصادية والإجتماعية والثقافية وغيرها، التي كانت تعتبر تقليدياً من صميم الاختصاص الداخلي للدول.

ونجدها أيضاً في معاهدة ماسترخت الموقعة في العام ١٩٩١ والمنشئة للاتحاد الأوروبي، والمعاهدات المعدلة لها، والتي أنشأت مؤسسات اتحادية فوق المؤسسات الوطنية للدول الأعضاء.

وكذلك نجدها في نظام المحكمة الجنائية الدولية الذي جعل أصحاب السيادة في الدول المصدقة لهذا النظام، من رؤساء الدول ورؤساء الحكومات والوزراء والنواب والموظفيين الرسميين، خاضعين لاختصاص المحكمة في حال ارتكابهم جرائم دولية.

وفي الخلاصة

يمكننا القول بأن التطورات الراهنة في النظام الدولي على الرغم من أنها قد قلصت من السلطات والوظائف التقليدية للدولة، إلا أنها لم تأت على السيادة.

صحيح أن السيادة تواجه في الوقت الحاضر وضعاً صعباً بسبب القيود والضوابط والشروط التي تفرض على الدول في ممارسة سيادتها، إلا أنها بقيت على اعتبار أنها أداة ضرورية لتنظيم العلاقات بين الدول، وهي ستبقى ما بقيت الدولة القومية.

وجل ما في الأمر أن الدولة لم تعد مطلقة اليد في شؤونها الداخلية كما كانت في الماضي، بل أصبحت محكومة ومقيدة بضوابط وشروط تضمن عدم تعارض إدارتها لشؤونها الداخلية مع التزاماتها ومسؤولياتها الدولية، وعدم المس بحقوق ومصالح الدول الأخرى والأشخاص الدوليين الآخرين.

عبث الداعمين في الثورة السورية

بقلم: فاضل الحمصي

بعد أن بدأت مرحلة العسكرة وحمل السلاح في الثورة السورية، بدأ الدعم ينهال عليها من جهات بعضها معروف وأغلبها مجهول، وبدأ معها العبث بمصير الثورة والتحكم بضعاف النفوس من قادة الكتائب من قبل أولئك الداعمين.

(إذا أردت أن تفشل ثورة فأغرقها بالمال)، كان هذا ما فعله الداعمون بثورتنا، لكنهم أخفقوا بإفشالها، واستمرت الثورة رغم كل ما أحيك ضدها من مؤامرات.

ضَعُف الكثيرون أمام سلطان المال ولمعان الذهب، ففي النهاية هم بشر، وطبع البشر حب الدنيا وحب المال.

تفرقت الكتائب وتشتتت بسبب هذا المال السياسي الملعون، وبتنا نرى تشكيلات لا تضم سوى بضعة أشخاص من عائلة واحدة، ورغم ذلك يصلها الدعم والمال بهدف إظهار تفكك الثوار بأكبر شكل ممكن.

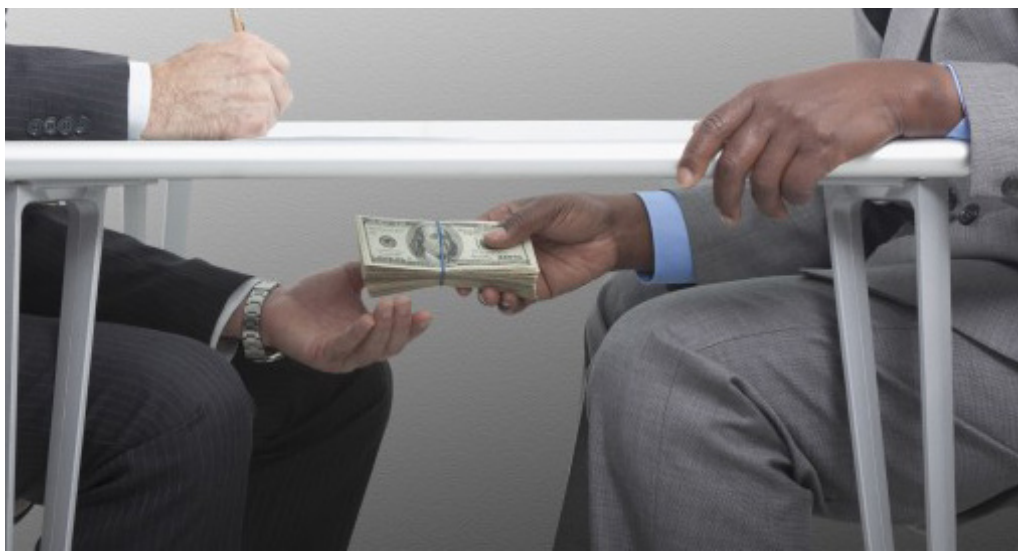

ورأيت صورة تجمع ٢٤ عنصراً كانوا فيما سبق أفراد كتيبة واحدة، وهم الآن متفرقون، كل واحد منهم يرأس كتيبته الخاصة! كل هذا التفكك والتشتت كان الداعمون سببه الرئيسي، سواء عن خبث في نيتهم أو عن طيبة، وأشك في طيبة نوايا معظمهم.

بداية الدعم:

كانت الأموال تأتي على شكل تبرعات من مغتربين سوريين بشكل بسيط لا يتجاوز مئات الآلاف من الليرات السورية، وكانت تصرف جميعها في دفع ثمن الذخيرة ومعالجة المصابين والجرحى، ثم تطور الأمر وبدأت الأموال تتدفق بشكل كبير، خصوصاً مع بداية شهر آذار من العام ٢٠١٢، وبدأ بعدها إغراء العناصر لتشكيل كتائبهم الخاصة، ففي حمص مثلاً وعند بداية معركة بابا عمرو كان معظم العمل العسكري محصوراً بتشكيل واحد، هو كتيبة الفاروق، وبعد نهاية تلك المعركة بدأت الكتائب بالتكاثر إلى أن وصل العدد في حمص وحدها إلى ٦٥ كتيبة خلال شهرين فقط، وما زالت أعداد التشكيلات تتزايد وتتكاثر!!

أسلوب إيصال الدعم:

لا يتواصل الداعمون مع قادة الكتائب والثوار بشكل مباشر، بل بشكل خفي أقرب ما يكون إلى العمل المخابراتي، فيعمل الداعمون على إظهار شخصيات معروفة بطيبتها أو تقواها ليضعونها في الواجهة، مستغلين طيبتهم وحسن نواياهم ورغبتهم في خدمة الثورة لتنفيذ مخططاتهم الخبيثة، وقد تصل حلقات الدعم في بعض الأحيان إلى ١٠ أو ١٥ شخصاً، يتسلسلون في معرفة بعضهم بحيث لا يعرف الجميع بعضهم، (تماماً كما تفعل أجهزة الأمن والتنظيمات السرية)، وهكذا تضيع هوية الداعم الحقيقية، الذي قد يكون مرتبطاً بأجهزة المخابرات أو غيرها، ويظهر في الواجهة فقط الأشخاص البسطاء الطيبون المخدوعون.

السعي لإرضاء الداعمين:

كثيراً ما غيّر قادة الكتائب من أفكارهم وإيديولوجياتهم سعياً لإرضاء الداعمين، وبتنا نشاهد في مقاطع الفيديو تسجيلات لقادة وعناصر يتبنون أفكاراً لا يفهمون حقيقتها فعلاً، فالشخص البسيط العادي الذي لم يكمل تعليمه الابتدائي بات يتحدث في مواضيع تصعب حتى على العلماء، وبتنا نرى جهلة يتحدثون في أمور التكفير والخروج من الدين التي لا يفهمونها على الإطلاق.

استغلال النظام لهذا الأمر:

استغل نظام الأسد الخبيث موضوع الدعم المالي وشكّل كتائب محسوبة على الثوار لتعمل لصالحه سراً، وذلك عن طريق داعمين مرتبطين به بشكل خفي، وحقق من هذا الموضوع فائدة كبرى من خلال الترويج لقضية الإرهاب والتطرف، فكان يطلب من تلك الكتائب تصوير مقاطع فيديو معينة ليستغلها في الترويج الإعلامي في الغرب خصوصاً، وقد حقق نجاحاً كبيراً في هذا الأمر، بالإضافة لاستغلاله وجود هذه الكتائب في بعض المناطق لتسهيل اقتحامها والسيطرة عليها.

كما نجح بعض الداعمين المرتبطين به في تهدئة بعض الجبهات من خلال دفع الأموال لقادة تلك الكتائب المرابطة عليها، حيث نجح الداعمون عن طريق المال بإقناعهم بإيقاف العمل مؤقتاً ريثما يتم التجهيز بشكل أفضل مع وعود بإرسال الأسلحة والذخائر، هذا الأمر الذي يطفئ الحماس في النفوس ويبعث على الإحباط لدى المقاتلين، والذي يعطي النظام الوقت الذي يحتاجه ويسمح له بالاستفراد بالمناطق واحدة تلو الأخرى.

كما استطاع النظام عن طريق هؤلاء تخفيف الدعم الشعبي الهائل الذي كان موجوداً في بداية الثورة للجيش الحر، حيث أمر بعض المرتزقة التابعين له بقصف الأحياء الآمنة والتي تحوي نازحين من المناطق المنكوبة أصلاً، مما ساهم في تراجع التأييد الشعبي للجيش الحر.

ما هو البديل عن أموال الداعمين؟؟

يتشدق الكثيرون أن الدعم ضروري وأساسي لاستمرار القتال، وهذا الأمر غير صحيح على الإطلاق، فالدعم المسيّس عدمه أفضل من وجوده، والداعمون الذين يطرحون مواضيع سياسية مستقبلية يسيؤون إلى الثورة ويأخرون انتصارها ويقدمون خدمات لنظام الأسد أضعاف ما يعطون من فوائد للثورة.

على الصعيد السياسي لم يقدم الداعمون أي مساعدة ساهمت في صنع إنجاز واحد، وإعطاء الدعم أو قطعه أمر سواء لا يقدم ولا يؤخر في عمل المعارضة السياسية المشلولة أصلاً.

أما على الصعيد العسكري فالدعم ساعد في السيطرة على قرار قادة الكتائب وتهدئة جبهات مهمة وفتح جبهات عديمة الفائدة استراتيجياً، وقطع الدعم العسكري ربما يكون ذو فائدة كبيرة من خلال عودة القرار إلى قادة الكتائب، والبديل عن الدعم المالي هو الاغتنام من قوات النظام، والتي سيكون مفعولها أضعاف أضعاف أموال الدعم المشبوهة.

لابد من الإشارة أن الدعم الإغاثي والإنساني كان له أثر إيجابي كبير، وساهمت المشاريع الإغاثية بتقديم المساعدة للمحتاجين بشكل فعال جداً، ورغم ذلك لابد من تنظيم عملها بشكل أفضل وتجاوز الأخطاء التي تحدث بكثرة نتيجة أخطاء صغيرة يمكن تداركها بخطوات بسيطة.

معارك المليحة لا تزال مستمرة
وداعش تحاصر دير الزور

جريدة الكتائب

تسلل الثوار إلى داخل مدينة رنكوس في ريف دمشق في خطوة فاجأت قوات النظام، كما أحرز الثوار تقدماً في حلب على عدة جبهات، اما في ريف حمص فاستطاع الثوار تحرير منطقة جديدة، في حين استمرت طائرات النظام بزرع الرعب والدمار في مختلف أنحاء البلاد.

في العاصمة دمشق، قتل سبعة أشخاص وأصيب آخرون إثر قصف مدفعي من قوات النظام على حي جوبر، كما دارت اشتباكات عنيفة على أطراف الحي، كما سقط تسعة شهداء وعشرات الجرحى جراء قصف تعرض له حي القابون بالمدفعية الثقيلة وقذائف الهاون.

وفي ريف دمشق استطاع الثوار التسلل لداخل مدينة رنكوس المحاطة بالكثير من الحواجز، ودارت اشتباكات عنيفة على محورين داخل المدينة استطاع الثوار خلالها قتل عدد من عناصر النظام وتدمير عدد من الآليات. كما نصب مقاتلو الجيش الحر كميناً لقوات النظام في محيط مطار الضمير العسكري، مما أسفر عن مقتل وجرح عدد منهم.

واستمرت المعارك العنيفة في محيط بلدة المليحة، ونجح الثوار بالسيطرة على نقطتين على طريق زبدين المليحة بعد قصف موقع للنظام قرب إدارة الدفاع الجوي. وسيطرت قوات النظام على مبنيين بمنطقتي البلدية والأفران قرب إدارة الدفاع الجوي بالمليحة.

وشن الطيران الحربي غارات جوية على دير العصافير ومسرابا ودوما والمليحة وبساتين رنكوس خان الشيح وعدة مناطق بالغوطة الشرقية.

واستهدفت قوات النظام بصواريخ أرض أرض أحياء سكنية في المليحة ومزارع وأطراف بلدة جسرين، كما قصفت القوات النظامية بالأسطوانات المتفجرة والمدفعية الثقيلة منطقة الكورنيش القديم في مدينة داريا بريف دمشق، وامتد القصف ليشمل المناطق الواقعة بين داريا ومعضمية الشام، وفي دوما استهدفت قوات النظام بالمدفعية سوقاً شعبية في المدينة مما أوقع عشرات الجرحى نقلوا إلى مشاف ميدانية في المدينة.

وأصيب سبعة أشخاص على الأقل بحالات اختناق نتيجة هجوم نفذته قوات النظام على مدينة عربين بالغوطة الشرقية بقذائف تحتوي على غازات سامة. وأظهرت الصور عدداً من المصابين وقد ظهرت عليهم أعراض إعياء وتشنج في القصبة الهوائية، حسبما أورد الأطباء في المستشفيات الميدانية بالمدينة. وقد أخذ الأطباء بعض العينات من المصابين بالاختناق للتحقق من طبيعة المادة السامة التي أصيبوا بها، ورجح أحد الأطباء أن تكون غاز الكلور الذي استخدمته قوات النظام منذ شهر تقريباً في قصف مدينة حرستا وبلدة المليحة بريف دمشق.

وفي حلب دارت اشتباكات عنيفة بين الجيش الحر وقوات النظام على جبهة البريج في حلب وفي منطقة العواميد بأحياء حلب القديمة، واستهدف الجيش الحر بالرشاشات مقار قوات النظام في الشيخ نجار، وقتل أربعة عناصر من هذه القوات خلال الاشتباكات في محيط قلعة حلب.

في غضون ذلك سيطر الثوار على تلة شهيد جنوب جبل عزان بريف حلب إثر اشتباكات عنيفة مع قوات النظام، ودمرت سيارة محملة بالذخيرة لهذه القوات على طريق خناصر في محيط بلدة عزان بريف حلب الجنوبي. وبدورها سيطرت كتائب الثوار على مبان في محيط المخابرات الجوية بحلب، وعلى قرية عزيزة بريف حلب الجنوبي.

يأتي ذلك بينما استهدفت مروحيات النظام بالبراميل المتفجرة والصواريخ الموجهة أحياء المواصلات والصاخور وبستان الباشا وحي الشعار وقاضي عسكر والأشرفية وبني زيد والمدينة الصناعية والقاطرجي وبستان القصر في مدينة حلب، كما استهدفت غارة جوية مناطق مارع وعندان وكفر حمرة وتل رفعت بريف حلب.

وشمل القصف حي الحيدرية، وألحق دماراً واسعاً بالمباني والمرافق. كما قصفت قوات النظام بصواريخ فراغية بلدة حيان في ريف حلب الشمالي فأصيب سبعة أشخاص من عائلة واحدة.

كما سقط شهداء وجرحى إثر قصف قوات النظام ببراميل متفجرة في حي الحلوانية، وشملت الغارات أيضاً أحياء الإنذارات ومناشر الحجر وطريق الكاستيلو ودوار بعيدين وحي طريق الباب.

وقصف الثوار بالهاون والدبابات تجمعات قوات النظام في محيط سجن حلب المركزي، في حين دارت اشتباكات عنيفة بين الطرفين بالمدفعية الثقيلة في منطقة الشيخ نجار مما أدى إلى مقتل ضابط وخمسة من جنود قوات النظام.

وفي حمص استطاع الثوار السيطرة على قرية أم شرشوح بعد معارك أسفرت عن مقتل ١٤ من قوات النظام، بينهم ضابط. كما سيطر الثوار أيضاً على قريتي الثورة والوعرة الواقعتين شمال أم شرشوح، وذلك بعد عملية تفجير استهدفوا خلالها تجمعاً لقوات النظام في المنطقة، وقد قصف الطيران مواقع المعارضة في أم شرشوح بالقنابل العنقودية والصواريخ الفراغية، كما شن عدة غارات على مدينة الحولة ومزارع الرستن وتلبيسة، مما أدى إلى سقوط شهداء وجرحى.

من ناحية أخرى مازالت المفاوضات جارية برعاية إيرانية بين الثوار وقوات النظام بشأن هدنة في حي الوعر الذي يسيطر عليه الثوار، وتدور محاور المفاوضات حول عدة أمور من بينها تسليم السلاح مقابل إطلاق المعتقلين وتسوية أوضاع المطلوبين والمنشقين عن الجيش، إضافة إلى عودة الأهالي إلى حمص القديمة. وتضمنت كذلك فتح الطرقات ورفع الحصار عن الحي، وإخراج من يرغب في التسوية من الحي. ونصت القائمة التي قدمها النظام أن جيش النظام سيدخل إلى الحي حتى ينتهي من تفتيشه ثم ينسحب مع آلياته، فضلاً عن دخول جهاز أمن الدولة بضمان عدم اعتقال أحد. كما تضمنت فتح مكتب للوسيط الإيراني في الحي لمراقبة الاتفاق ومعالجة أي مخالفة أو تجاوز.

وفي درعا استهدفت قوات النظام بالمدفعية الثقيلة بلدة تسيل بريف درعا الغربي، كما قصفت مدفعية النظام أيضاً قرية عدوان، فيما استهدف الجيش الحر بالدبابات والرشاشات الثقيلة تجمعات لقوات النظام بتل الهش في محيط بلدة نوى، بالتزامن مع اشتباكات عند تل الجموع أسفرت عن استشهاد عنصرين من الجيش الحر. ودار قتال أيضاً على أطراف حي المنشية. واستهدف الجيش الحر براجمات الصواريخ اللواء ١٢ والفوج ١٧٥ والمطار الزراعي التابع للفرقة الخامسة في مدينة ازرع بريف درعا.

وتمكنت كتائب الثوار من نسف مبنى لقوات النظام في بلدة عتمان بريف درعا، بعد عملية تسلل تمكنت فيها من تفخيخ المبنى ثم تفجيره، وأسفرت العملية عن مقتل سبعة عناصر من قوات النظام.

في الوقت ذاته قصفت مروحيات النظام بالبراميل المتفجرة حي طريق السد في درعا ومدينة الحراك في ريفها، وقصفت بالمدفعية بلدة اليادودة في ريف درعا. كما قصفت بالمدفعية بلدات تسيل وسحم الجولان واليادودة والحي الغربي لمدينة نوى بريف درعا. كما شن الطيران الحربي أربع غارات جوية على مدينة نوى بريف درعا.

وفي إدلب قصف الطيران الحربي بالبراميل المتفجرة مدينة معرة مصرين، كما شن غارات جوية على بلدة الهبيط ومدينة معرة النعمان بريف إدلب، واستهدفت الغارات الجوية أيضاً معبر باب الهوى الحدودي مع تركيا.

وشنت قوات النظام غارات على معسكر الخزانات في مدينة خان شيخون وقرية الكندة بجسر الشغور في ريف إدلب، وقصفت بالمدفعية والدبابات بلدات الرامي بجبل الزاوية وبسامس بريف إدلب.

وفي حماه قتل عدد من قوات النظام جراء تفجير سيارة كانت تقلهم بين قريتي معان والشعثة بريف حماة. كما دارت اشتباكات عنيفة بين الجيش الحر وقوات النظام في محيط قاعدة تل عثمان العسكرية وحاجز البانة بريف حماه. وقصفت مروحيات النظام بالبراميل المتفجرة أكثر من ثلاثين برميلاً متفجراً على مدن وبلدات تل هواش والجابرية وكفرزيتا ومورك وجبين والجلمة والزوار بريف حماة الشمالي والجنوبي. واستهدف الجيش الحر مطار حماة العسكري بصواريخ غراد وحقق إصابات مباشرة.

وقصفت طائرات ميغ بصواريخ فراغية مدينة كفرزيتا، في حين دمرت كتائب الثوار دبابة لقوات النظام بمدينة مورك مستخدمة صاروخاً مضادا للدروع. كما استهدفت الثوار تجمعات قوات النظام في محردة وجورين.

وفي اللاذقية دارت اشتباكات في محيط قمة النبي يونس بجبال اللاذقية، واستهدف الجيش الحر بالمدفعية قوات النظام في قمة تشالما وقسطل معاف وبكسا بريف اللاذقية. كما استهدف بقذائف الهاون تجمعات للنظام في ضاحية سقوبين وبلدة البدروسية بريف اللاذقية. وتصدى الجيش الحر لمحاولة عناصر من الدفاع الوطني اقتحام منطقة النبعين بريف اللاذقية. وتضاربت الأنباء عن سيطرة قوات النظام على مدينة كسب.

وفي دير الزور يفرض تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) حصاراً على المدينة، بعدما قطع الطريق الوحيد لإدخال المواد الغذائية. ومن الجانب الآخر تحاصر قوات النظام الأحياء التي تسيطر عليها المعارضة. وقد وقعت اشتباكات بين الجيش الحر وقوات النظام في أحياء الراشدية والحويقة والموظفين والجبية والعمال بالمدينة. كما دارت اشتباكات بين الثوار ومسلحي داعش في محيط دوار الواحة وبلدة الحسينية بريف دير الزور الغربي. وقد أعلن مجلس شورى المجاهدين سيطرته على قرية الحريجة إثر اشتباكات مع مقاتلي تنظيم داعش بريف المدينة.

وشن الطيران الحربي ثماني غارات على أحياء الحميدية والشيخ ياسين المكتظة بالسكان في دير الزور، مما أسفر عن سقوط عدد من الجرحى بين المدنيين وخلف دماراً واسعاً في هذه المناطق.

في هذه الأثناء سيطر تنظيم داعش على معبر اليعربية الحدودي الذي يربط سوريا بالعراق ويعتبر أحد ثلاثة معابر بين البلدين، حيث انسحب عناصر وحدات الحماية الشعبية الكردية من الجانب السوري بعد ذلك إلى مدينة اليعربية شمال الحسكة.

مصدر بالجيش السوري الحر: هدن النظام مهددة بالفشل

قلل مصدر قيادي في الجيش السوري الحر من أهمية الهدن التي يقوم بها النظام مع مقاتلي المعارضة في بعض مناطق البلاد، وقال إنها «مهددة بالفشل في أي لحظة»، ورأى فيها دليل على عدم القدرة على الحسم عسكرياً للنظام. وقال المصدر القيادي لوكالة (آكي) الإيطالية للأنباء «إن حالة التهدئة التي يحاول النظام فرضها على بعض مناطق سورية مقابل فك الحصار عنها ليست مصالحات وإنما هدن مؤقتة وهشة ووهمية ومعرّضة للفشل في أي لحظة، خاصة مع افتقاد النظام لأي مصداقية من جهة ولقلة العنصر البشري الكافي لحربه ضد الشعب من جهة ثانية» على حد تعبيره. وأضاف "هذه الهدن هي دليل ضعف على عكس ما يحاول النظام الإيحاء به وترويجه، فالنظام عملياً وعلى أرض الواقع غير قادر على الانتصار ميدانياً وليست لديه القدرة على الحسم عسكرياً في هذه المناطق رغم الدعم الكبير الذي يتلقاه من حلفائه إيران وحزب الله وروسيا». وأوضح «ما يؤكد لنا ضعف النظام هو رضوخه لشروط الثوار في العديد من المناطق، ففي هدنة برزة بدمشق مثلاً اشترط الثوار البقاء في المنطقة بأسلحتهم وعتادهم، وفي المعضمية بريف دمشق اشترط النظام أن يُرفع علمه فوق خزان المياه بالبلدة فقط مقابل فك الحصار عن المدينة، وهذا دليل ضعف، بينما يحاول النظام البحث عن انتصارات معنوية وهمية ليوحي لأنصاره وللعالم الخارجي أنه يتقدم ميدانياً».

إعلان فوز الأسد في المهزلة الانتخابية بنسبة ٨٨,٧ ٪

أعلن رئيس مجلس الشعب السوري جهاد اللحام فوز بشار الأسد بفترة رئاسية ثالثة في الانتخابات الرئاسية التي شهدتها البلاد، وقال إنه حصل على أكثر من عشرة ملايين صوت وبنسبة مشاركة بلغت ٨٨,٧٪. وكانت المحكمة الدستورية العليا في سوريا قد أعلنت أن نسبة المشاركة في الانتخابات الرئاسية تجاوزت ٧٣٪. وقال المتحدث باسم المحكمة ماجد خضرة في بيان تلاه عبر التلفزيون الرسمي، إن عدد المشاركين في الانتخابات بلغ «١١ مليوناً و٦٣٤ ألفا و٤١٢» من أصل ١٥ مليوناً و ٨٤٠ ألفا و٥٧٥ ناخباً داخل سوريا وخارجها، مشيراً إلى أن نسبة المشاركة بلغت ٧٣,٤٢٪، وأن نسبة الأصوات الباطلة بلغت ٣,٨٪»..

استقالة عدد من رؤساء المجالس العسكرية وقادة الجبهات

أعلن عدد من قادة الجبهات ورؤساء المجالس العسكريّة في مدن مختلفة استقالتهم من مهامهم القياديّة تاركين المهمّة لمن يستطيع تحمل المسؤوليّة من بعدهم ويختاره الشعب السوري. وكان الموقعين على البيان: العقيد الركن عبد الباسط الطويل قائد الجبهة الشماليّة، العقيد مصطفى هاشم قائد الجبهة الغربية الوسطى، العقيد الركن فاتح حسون قائد جبهة حمص، المقدم محمد العبود قائد الجبهة الشرقية، العقيد الركن عفيف سليمان رئيس المجلس العسكري في ادلب، العقيد الركن محمد معتز رسلان رئيس المجلس العسكري في الرقة، العقيد الركن بشار سعد الدين رئيس المجلس العسكري في حمص، العقيد محمد عواد رئيس المجلس العسكري في الساحل، المقدم عبد المجيد سلطان رئيس المجلس العسكري في الحسكة.

المالح: لا صحة لما تم نشره بخصوص التحضير لتجمع سياسي جديد

أصدر هيثم المالح رئيس المكتب القانوني في الائتلاف الوطني السوري تصريحاً صحفياً قال فيه: «أوردت صفحة مزورة على أحد مواقع التواصل الاجتماعي أخباراً كاذبة حول تحضيرات لتجمع سياسي سوري جديد معارض، وقد قامت بعض وسائل الإعلام باعتماد تلك الأخبار دون التحقق منها كما تقتضي مهنية العمل الصحفي». وأضاف في التصريح الذي نشره موقع الائتلاف: «وعلى ذلك فقد أصبح من الواجب تأكيد عدم وجود أي علاقة لي بتلك الصفحة التي أوردت ذلك الخبر، ونفيه بشكل كامل، فالمطلوب حالياً هو تعزيز وتفعيل عمل الائتلاف الوطني السوري خاصة بعد حصوله على اعتراف سياسي ودبلوماسي من قبل دول كثيرة».

السجن ل ١٣ سورياً معارضاً في مصر

قضت محكمة جنايات القاهرة بالسجن المشدد خمس سنوات على ثلاثة عشرة سورياً من معارضي النظام السوري بتهمة التجمهر وتعريض السلم العام للخطر. ووجهت النيابة إلى المدانين تهماً أخرى منها الاعتداء على المارة ومواجهة السلطات بالعنف خلال تظاهرهم ضد نظام الأسد. وكانت النيابة قد أمرت عام ٢٠١٣، بحبس ثلاثة عشر سورياً خمسة عشر يوماً على ذمة التحقيق. كما أصدرت النيابة أمراً بضبط وإحضار سبعة آخرين وجهت إليهم تهم تعطيل السير، وإتلاف ممتلكات عامة وخاصة. وكان مراقبون قد رصدوا عقب الانقلاب حملة إعلامية غير مسبوقة تشترك فيها قنوات فضائية مصرية وصحف ومواقع إلكترونية تتهم السوريين بالتدخل في شؤون مصر لصالح مرسي وجماعة الإخوان المسلمين. وفي وقت سابق، اتهمت منظمة العفو الدولية (أمنستي) مصر صراحة بتوقيف وإبعاد مئات اللاجئين الذين فرّوا إليها من سوريا، ونددت باعتقال أطفال، وكذلك فصل عائلات خلال طردهم إلى سوريا. وجاء في بيان أمنستي -الذي صدر في ديسمبر/كانون الأول الماضي- أن مصر تحتجز بطريقة غير مشروعة مئات اللاجئين السوريين والفلسطينيين الذين فروا من النزاع الذي بدأ في مارس/آذار ٢٠١١ في سوريا، مضيفة أن «مصر فشلت فشلاً ذريعاً في احترام واجباتها الدولية لناحية حماية حتى اللاجئين المعدمين، وبدلاً من أن تقدم لهم دعماً حيوياً أوقفتهم وأبعدتهم، مما يشكل انتهاكا لحقوق الإنسان».

أوربا تشدد إجراءاتها بشأن القتال في سوريا

تبنت تسع دول أوروبية الخميس خططاً لزيادة تبادل معلومات المخابرات وإغلاق المواقع الإلكترونية لمن وصفتهم بـ«المتشددين»، في محاولة لمنع توجه مواطنين أوروبيين للقتال في سوريا. وقد قررت هذه الدول إعداد سلسلة إجراءات ملموسة للتعرف على «متطرفين» أوروبيين ذهبوا للقتال في سوريا ومنعهم من ارتكاب «مجازر» في دولهم التي انطلقوا منها. ونقلت وكالة الصحافة الفرنسية عن المنسق الأوروبي لمكافحة الإرهاب جيل دو كيرشوف قوله إنه تم تحديد سلسلة إجراءات «للرصد والوقاية والردع»، وذلك في اجتماع عمل بين وزراء داخلية تسع دول هي بلجيكا وفرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة وإسبانيا وإيطاليا والدانمارك والسويد والنمسا.

دراسة: إدارة أوباما تؤيد تدريب الثوار السوريين

قالت دبلوماسية أميركية إن إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما تؤيد خطة لتدريب المعارضة السورية المعتدلة. وأعلنت دانا شل سميث التي رشحها أوباما سفيرة للولايات المتحدة لدى قطر أن الإدارة تؤيد ما ورد في مشروع قانون دفاعي لمجلس الشيوخ سيسمح بتدريب عسكري علني للمعارضة السورية المعتدلة. وأضافت سميث أثناء جلسة للمصادقة على تعيينها «في حدود فهمي فإن الإدارة تؤيد ما ورد في مشروع القانون الدفاعي بالسماح بتدريب المعارضة المعتدلة وتزويدها بالعتاد». وكانت سميث -التي تعمل حالياً مستشارة كبيرة في وزارة الخارجية- ترد على سؤال بشأن العبارات الواردة في مشروع قانون الدفاع الوطني المطروح حالياً على مجلس الشيوخ والذي يسمح ببرنامج علني للتدريب العسكري للمعارضة السورية المعتدلة تقوده قوات العمليات الخاصة الأميركية. وقبل أيام ذكرت صحيفة وول ستريت جورنال الأميركية أن الرئيس باراك أوباما يعتزم السماح للقوات الأميركية بتدريب مقاتلين من المعارضة السورية المعتدلة من أجل التصدي لتصاعد نفوذ «المتطرفين» المرتبطين بتنظيم القاعدة في هذا البلد. ورفض البيت الأبيض أن يؤكد أو ينفي الخبر مكتفياً بالقول إن الرئاسة «تواصل تقييم الخيارات المتاحة لمكافحة المخاطر الإرهابية الصادرة من سوريا، والمساعدة على وضع حد للأزمة».

أول صفقة تبادل أسرى في الغوطة الشرقية

في عملية غير مسبوقة، أجرى الثوار صفقة لتبادل الأسرى مع النظام السوري قبل بضعة أيام في غوطة دمشق الشرقية التي لم تشهد من قبل صفقة من هذا النوع. وتمثلت الصفقة في إفراج جيش الإسلام التابع للجبهة الإسلامية ولواء شهداء دوما عن ستة عناصر من قوات النظام بينهم ضابط، مقابل إفراج نظام الأسد عن عائلة كاملة من مدينة دوما مكونة من أربعة أفراد إضافة إلى شخص آخر. وأوضح قائد لواء شهداء دوما أحمد طه أن المفاوضات بهذا الشأن استمرت أربعة أشهر وتمت بواسطة الوسيط أبو زهير سريول، وهو والد فتاة أفرج عنها ضمن الصفقة، وانتهت بتسليم الطرفين للمحتجزين. وأضاف أن قوات النظام كانت قد أفرجت عن الطفلين عائشة وحسين مرجان، وهما من ضمن الأسماء المتفق عليها مع النظام، قبل إتمام العملية بأسبوعين كبادرة حسن نية، و«في النهاية تمت العملية النهائية عند المعبر الوحيد للغوطة الشرقية والواقع عند مخيم الوافدين للنازحين، حيث انطلقت سيارة من المخيم يستقلها أحد المفرج عنهم لتصل إلى القسم الأخر الواقع تحت سيطرة الثوار.» وتابع قائلا «بعد وصول السيارة للطرف المحرر يستقلها أحد أسرى جنود النظام بالاتجاه المعاكس، وكلما تسلم قوات النظام معتقلا نسلمهم أسيرا حتى نهاية الصفقة».

الجاسوس الإسرائيلي (كوهين)

جريدة الكتائب

الياهو بن شاؤول كوهين يهودي من أصل سوري حلبي، ولد بالإسكندرية، التي هاجر إليها أحد أجداده سنة ١٩٢٤.

وفي عام ١٩٤٤ انضم إيلي كوهين إلى منظمة الشباب اليهودي الصهيوني في الإسكندرية، وبدا متحمساً للسياسة الصهيونية وسياستها العدوانية على البلاد العربية، وفي سنة وبعد حرب ١٩٤٨ أخذ يدعو مع غيره من أعضاء المنظمة لهجرة اليهود المصريين إلى فلسطين، وبالفعل في عام ١٩٤٩ هاجر أبواه وثلاثة من أشقاءه إلى إسرائيل بينما تخلف هو في الإسكندرية.

وقبل أن يهاجر إلى اسرائيل عمل تحت قيادة إبراهام دار، وهو أحد كبار الجواسيس الإسرائيليين الذي وصل إلى مصر ليباشر دوره في التجسس ومساعدة اليهود علي الهجرة وتجنيد العملاء، واتخذ الجاسوس اسم جون دارلينج وشكل شبكة للمخابرات الإسرائيلية بمصر نفذت سلسلة من التفجيرات ببعض المنشأت الأمريكية في القاهرة والإسكندرية بهدف إفساد العلاقة بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية، وفي عام ١٩٥٤ تم إلقاء القبض على أفراد الشبكة في فضيحة كبرى عرفت حينها بفضيحة لافون، وبعد انتهاء عمليات التحقيق كان إيلي كوهين قد تمكن من إقناع المحققين ببراءة صفحته إلى أن خرج من مصر عام ١٩٥٥ حيث التحق هناك بالوحدة رقم ١٣١ بجهاز أمان لمخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي، ثم أعيد إلى مصر، ولكنه كان تحت عيون المخابرات المصرية التي لم تنس ماضيه فاعتقلته مع بدء العدوان الثلاثي ضد مصر في أكتوبر ١٩٥٦.

وبعد الإفراج عنه هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٥٧، حيث استقر به المقام محاسباً في بعض الشركات، وانقطعت صلته مع «أمان» لفترة من الوقت، ولكنها استؤنفت عندما طرد من عمله، وعمل لفترة كمترجم في وزارة الدفاع الإسرائيلية، ولما ضاق به الحال استقال وتزوج من يهودية من أصل مغربي عام ١٩٥٩.

وقد رأت المخابرات الإسرائيلية في إيلي كوهين مشروع جاسوس جيد، فتم إعداده في البداية لكي يعمل في مصر، ولكن الخطة ما لبثت أن عدلت، ورأي أن أنسب مجال لنشاطه التجسسي هو دمشق.

وبدأ الإعداد الدقيق لكي يقوم بدوره الجديد، ولم تكن هناك صعوبة في تدريبه على التكلم باللهجة السورية، لأنه كان يجيد العربية بحكم نشأته في الإسكندرية.

ورتبت له المخابرات الإسرائيلية قصة ملفقة يبدو بها مسلماً يحمل اسم (كامل أمين ثابت) هاجر وعائلته إلى الاسكندرية ثم سافر عمه إلى الأرجنتين عام ١٩٤٦ حيث لحق به كامل وعائلته عام ١٩٤٧، وفي عام ١٩٥٢ توفي والده في الأرجنتين بالسكتة القلبية، كما توفيت والدته بعد ستة أشهر وبقى كامل وحده هناك يعمل في تجارة الأقمشة.

وتم تدريبه على كيفية استخدام أجهزة الإرسال والاستقبال اللاسلكي والكتابة بالحبر السري، كما راح يدرس في الوقت نفسه كل أخبار سوريا ويحفظ أسماء رجالها السياسيين والبارزين في عالم الاقتصاد والتجارة. مع تعليمه أصول الآيات القرآنية وتعاليم الدين الإسلامي.

وفي ٣ فبراير ١٩٦١ غادر إيلي كوهين إسرائيل إلى زيوريخ، ومنها حجز تذكرة سفر إلى العاصمة التشيلية سنتياجو باسم كامل أمين ثابت، ولكنه تخلف في بيونس آيرس حيث كانت هناك تسهيلات معدة سلفاً لكي يدخل الأرجنتين بدون تدقيق في شخصيته الجديدة.

وفي الأرجنتين استقبله عميل إسرائيلي يحمل اسم ابراهام، حيث نصحه بتعلم اللغة الاسبانية حتى لا يفتضح أمره، وبالفعل تعلم كوهين اللغة الإسبانية، وكان ابراهام يمده بالمال ويطلعه على كل ما يجب أن يعرفه لكي ينجح في مهمته.

وبمساعدة بعض العملاء تم تعيين كوهين في شركة للنقل، وظل كوهين لمدة تقترب من العام يبني وجوده في العاصمة الأرجنتينية كرجل أعمال سوري ناجح، فكوّن لنفسه هوية لا يرقى إليها الشك، واكتسب وضعاً متميزاً لدى الجالية العربية في الأرجنتين، باعتباره قومياً سورياً شديد الحماس لوطنه، وأصبح شخصية مرموقة في كل ندوات العرب واحتفالاتهم، وسهل له ذلك إقامة صداقات وطيدة مع الدبلوماسيين السوريين وبالذات مع الملحق العسكري بالسفارة السورية، العقيد أمين الحافظ.

وخلال المآدب الفاخرة التي اعتاد كوهين، أو كامل أمين ثابت، إقامتها في كل مناسبة وغير مناسبة، ليكون الدبلوماسيون السوريون على رأس الضيوف، لم يكن يخفي حنينه إلى الوطن الحبيب ورغبته في زيارة دمشق، لذلك لم يكن غريباً أن يرحل إليها بعد أن وصلته الإشارة من المخابرات الإسرائيلية، ووصل إليها بالفعل في يناير ١٩٦٢ حاملاً معه آلآت دقيقية للتجسس، ومزوداً بعدد غير قليل من التوصيات الرسمية وغير الرسمية لأكبر عدد من الشخصيات المهمة في سوريا، مع الإشادة بنوع خاص إلى الروح الوطنية العالية التي يتميز بها، والتي تستحق أن يكون محل ترحيب واهتمام من المسؤولين في سوريا.

وبالطبع، لم يفت كوهين أن يمر على تل أبيب قبل وصوله إلى دمشق، ولكن ذلك تطلب منه القيام بدورة واسعة بين عواصم أوروبا قبل أن ينزل في مطار دمشق وسط هالة من الترحيب والاحتفال. وأعلن الجاسوس أنه قرر تصفية كل أعماله العالقة في الأرجنتين ليظل في دمشق، مدعياً الحب لوطن لم ينتمي إليه يوماً.

وبعد أقل من شهرين من استقراره في دمشق، تلقت أجهزة الاستقبال في أمان أولى رسائله التجسسية التي لم تنقطع على مدى ما يقرب من ثلاث سنوات، بمعدل رسالتين على الأقل كل أسبوع.

وفي الشهور الأولى تمكن كوهين أو كامل من إقامة شبكة واسعة من العلاقات المهمة مع ضباط الجيش والمسؤولين الحربيين.

وكان من الأمور المعتادة أن يقوم بزيارة أصدقائه في مقار عملهم، ولم يكن مستهجناً أن يتحدثوا معه بحرية عن تكتيكاتهم في حالة نشوب الحرب مع إسرائيل، وأن يجيبوا بدقة على أي سؤال فني يتعلق بطائرات الميج أو السوخوي أو الغواصات التي وصلت حديثا من الاتحاد السوفيتي أو الفرق بين الدبابة تي -٥٢ وتي -٥٤... الخ من أمور كانت محل اهتمامه كجاسوس.

وبالطبع كانت هذه المعلومات تصل أولا بأول إلى إسرائيل، ومعها قوائم بأسماء وتحركات الضباط السوريين بين مختلف المواقع والوحدات.

وفي سبتمبر١٩٦٢ صحبه أحد أصدقائه في جولة داخل التحصينات الدفاعية بمرتفعات الجولان.. وقد تمكن من تصوير جميع التحصينات بواسطة آلة التصوير الدقيقة المثبتة في ساعة يده، وهي إحدى ثمار التعاون الوثيق بين المخابرات الإسرائيلية والأمريكية.

ومع أن صور هذه المواقع سبق أن تزودت بها إسرائيل عن طريق وسائل الاستطلاع الجوي الأمريكية، إلا أن مطابقتها على رسائل كوهين كانت لها أهمية خاصة سواء من حيث تأكيد صحتها، أو من حيث الثقة في مدى قدرات الجاسوس الإسرائيلي.

وفي عام ١٩٦٤، عقب ضم جهاز أمان إلى الموساد، زود كوهين قادته في تل أبيب بتفصيلات وافية للخطط الدفاعية السورية في منطقة القنيطرة، وفي تقرير آخر أبلغهم بوصول صفقة دبابات روسية من طراز تي -٥٤، وأماكن توزيعها، وكذلك تفاصيل الخطة السورية التي أعدت بمعرفة الخبراء الروس لاجتياح الجزء الشمالي من إسرائيل في حالة نشوب الحرب.

وازداد نجاح ايلي كوهين خاصة مع إغداقه الأموال على حزب البعث وتجمعت حوله السلطة واقترب من أن يرشح رئيساً للحزب أو للوزراء!.

وهناك أكثر من رواية حول سقوط ايلي كوهين نجم المجتمع السوري، لكن الرواية الأصح هي تلك التي يذكرها رفعت الجمال الجاسوس المصري الشهير بنفسه ...»شاهدته مرة في سهرة عائلية حضرها مسؤولون في الموساد وعرفوني به أنه رجل أعمال إسرائيلي في أمريكا ويغدق على إسرائيل بالتبرعات المالية.. ولم يكن هناك أي مجال للشك في الصديق اليهودي الغني، وكنت على علاقة صداقة مع طبيبة شابة من أصل مغربي اسمها (ليلى) وفي زيارة لها بمنزلها شاهدت صورة صديقنا اليهودي الغني مع امرأة جميلة وطفلين فسألتها من هذا؟ قالت إنه ايلي كوهين زوج شقيقتي ناديا وهو باحث في وزارة الدفاع وموفد للعمل في بعض السفارات الإسرائيلية في الخارج، .. لم تغب المعلومة عن ذهني كما أنها لم تكن على قدر كبير من الأهمية العاجلة، وفي أكتوبر عام ١٩٦٤ كنت في رحلة عمل للاتفاق على أفواج سياحية في روما وفق تعلميات المخابرات المصرية، وفي الشركة السياحية وجدت بعض المجلات والصحف ووقعت عيناي على صورة ايلي كوهين فقرأت المكتوب أسفل الصورة، (الفريق أول علي عامر والوفد المرافق له بصحبة القادة العسكريين في سوريا والعضو القيادي لحزب البعث العربي الإشتراكي كامل أمين ثابت) وكان كامل هذا هو ايلي كوهين الذي سهرت معه في إسرائيل وتجمعت الخيوط في عقلي فحصلت على نسخة من هذه الجريدة اللبنانية من محل بيع الصحف بالفندق وفي المساء التقيت مع (قلب الأسد) محمد نسيم رجل المهام الصعبة في المخابرات المصرية وسألته هل يسمح لي أن أعمل خارج نطاق إسرائيل؟ فنظر لي بعيون ثاقبة..

- ماذا ؟

- قلت: خارج إسرائيل.

- قال: أوضح.

- قلت: كامل أمين ثابت أحد قيادات حزب البعث السوري هو ايلي كوهين الإسرائيلي مزروع في سوريا وأخشى أن يتولى هناك منصباً كبيراً.

- قال: ما هي أدلتك؟

- قلت: هذه الصورة ولقائي معه في تل أبيب، ثم أن صديقة لي اعترفت أنه يعمل في جيش الدفاع.

ابتسم قلب الأسد وأوهمني أنه يعرف هذه المعلومة فأصبت بإحباط شديد ثم اقترب من النافذة وعاد فجأة واقترب مني وقال..

- لو صدقت توقعاتك يا رفعت لسجلنا هذا باسمك ضمن الأعمال النادرة في ملفات المخابرات المصرية..»

وعقب هذا اللقاء طار رجال المخابرات المصرية شرقاً وغرباً للتأكد من المعلومة.

وفي مكتب مدير المخابرات في ذلك الوقت السيد صلاح نصر تجمعت الحقائق وقابل مدير المخابرات الرئيس جمال عبد الناصر ثم طار في نفس الليلة بطائرة خاصة إلى دمشق حاملاً ملفاً ضخماً وخاصاً إلى الرئيس السوري أمين حافظ.

وتم القبض على ايلي كوهين وسط دهشة الجميع وأعدم هناك في ١٨ مايو ١٩٦٥

الكذب أعلى مراحل «الثورية»

حازم صاغية - صحيفة الحياة

سبق الوزير وليد المعلّم الأمينَ العامّ لـ «حزب الله» السيد حسن نصر الله إلى ذاك الاستنتاج التاريخيّ الكبير: هذه الانتخابات الرئاسيّة التي شهدنا هي مقدّمة الحلّ السياسيّ في سوريّة.

الدول الديموقراطيّة في العالم، حيث ولدت البرلمانات وتطوّرت، كان من الطبيعيّ أنّ ترى في الانتخابات المذكورة مهزلة موصوفة. لكنْ عندنا، لم يتردّد البعض في الحديث عن أنّ الغرب، الذي «يزعم» أنّه ديموقراطيّ، لم يتحمّل صدمة الديموقراطيّة السوريّة ولم يستوعبها. وبدورها فإنّ دولاً على رأسها إيران وكوريا الشماليّة سارعت إلى مباركة الديموقراطيّة السوريّة كما كشفت عنها الانتخابات.

ها نحن، مرّة أخرى، أمام معادلة مَن لا يملك ومَن لا يستحقّ. بيد أنّنا، وأيضاً مرّةً أخرى، أمام تزوير «فكريّ» و «سياسيّ» وظيفته تبرير الكذب العاري.

فالمُدافع عن ديموقراطيّة الانتخابات الأخيرة يسعه أن يستشهد بأطنان من الخرافات «الفكريّة» التي توكّد له أنّ شهادة إيران في الديموقراطيّة أهمّ من شهادة بلد كالسويد. لماذا؟ لأنّ إيران تقف في وجه الاستعمار، فيما السويد دولة استعماريّة في آخر المطاف. كما أنّ موقف إيران من إسرائيل أفضل آلاف المرّات من موقف السويد. أمّا إذا وضعنا الولايات المتّحدة وفرنسا وبريطانيا محلّ السويد، وأجرينا المقارنة، فإنّ حجّة المُدافع عن الديموقراطيّة السوريّة تكسب مزيداً من القوّة: هل نسينا هذه الدول؟ هل نسينا شريطاً يمتدّ من سايكس بيكو ووعد بلفور إلى استيطان الجزائر، ومن السويس والعدوان الثلاثيّ إلى العنصريّة ضدّ السود في أميركا، ومن فيتنام إلى الهنود الحمر مروراً بالإسلاموفوبيا في الغرب. وبدوره فالذي لا يزال يذكر نظريّة «المراحل الخمس» الستالينيّة الشهيرة، ويأخذ بها، سيثق برأي كوريا الشماليّة «الاشتراكيّة» أكثر ممّا بآراء أميركا وبريطانيا والسويد «الرأسماليّة». ألا تقول تلك النظريّة إنّ هذه الدول الأخيرة محطّة انتقاليّة على طريق الوصول إلى حيث كوريا الشماليّة الآن؟ أوليس السويديّون مدعوّين للنضال كي يصلوا إلى المرتبة الكوريّة الشماليّة... وهم، بعد جهد جهيد منهم، قد لا يُوفّقون في بلوغ تلك السويّة!؟

هنا نبلغ الذروة الكاريكاتوريّة في التذاكي الذي ربّما بدأ مع إحلال «الديموقراطيّة الشعبيّة»، المناهضة للديموقرطيّة وللشعب، محلّ «الديموقراطيّة البورجوازيّة» التي هي وحدها الديموقراطيّة. ونضيف، ضدّاً على الهذيان المعمّم، أنّ «الاستعمار» ليس المعيار الصالح لمحاكمة الديموقراطيّة، لأنّ الديموقراطيّة إنّما نشأت حيث نشأ الاستعمار. ولا يلزمنا للتأكّد من ذلك أكثر من معرفة مدرسيّة وأوليّة جدّاً بالتاريخ.

والحال أنّ الفضيحة السوريّة وفضائح الذين باركوها تنبّه إلى ضرورة رمي الأفكار التي تشكّلت منها منظومة «التحرّر الوطنيّ» في أقرب سلال المهملات. فهذه، في آخر المطاف، لا تعدو كونها تجميلاً متحذلقاً لاستبداد المستبدّ عبر إزاحة الموضوع المركزيّ عن الحرّيّة والديموقراطيّة وكرامة الإنسان وتركيزه على سلسلة الهذر والموات الممتدّة من الهنود الحمر إلى وعد بلفور. وليس بلا دلالة، هنا، أنّ أحد سادة الكلام «النظريّ» المنتفخ، المثقل بذاته وبمطوّلاته، أي نايف حواتمة، الأمين العامّ لـ «الجبهة الديموقراطيّة لتحرير فلسطين»، كان ممّن أبرقوا تأييداً لانتخاب سيادة الرئيس.

وهذا، في عمومه، استخدام عريق سبق أن حاول إقناعنا بأنّ الحزب الذي لم يحقّق لا الوحدة ولا الحرّيّة ولا الاشتراكيّة هو حزب الوحدة والحرّيّة والاشتراكيّة، وأنّ القائد الذي خسر الجولان هو بطل الجولان، وأنّ النظام الذي فعل ما فعله بالفلسطينيّين واللبنانيّين والعراقيّين إنّما هو نظام الغيرة «القوميّة» الناصعة، وأنّ ما حلّ بنا في حرب تمّوز (يوليو) ٢٠٠٦ هو انتصار إلهيّ.

أمّا اليوم تحديداً، فيحتفي بعض أعداء الإمبرياليّة بـ «انتصار» التفاوض المباشر في جنيف بين إيران و... الولايات المتّحدة! ومع تفسّخ النظام الذي لن تستطيع أيّة انتخابات من الصنف الذي رأيناه ترقيع شرعيّته، تتقدّم سوريّة، محمولةً على جناح الأكاذيب، إلى الحلّ السياسيّ الذي يقيها الموت والدمار!. هكذا إذاً، وعلى طاولة واحدة، قد يجلس بشّار الأسد وحسن عبدالعظيم وقدري جميل، وربّما جلس معهم المرشّحان الآخران اللذان نافسا الأسد على رئاسته، ثمّ تُملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت جوراً وظلماً. وبالطبع فإنّ المباركة الديموقراطيّة من إيران وكوريا الشماليّة جاهزة سلفاً.

أمّا الرجل الأبيض الذي يوسوس في صدور الناس فلعنة الله عليه.

فورد والسياسة الأمريكية في سوريا: كم مرة سيقلب المعطف؟

صبحي حديدي - القدس العربي

في آذار (مارس) ٢٠١٣، كان روبرت فورد سفير الولايات المتحدة إلى النظام السوري، ومبعوث وزارة الخارجية إلى مؤسسات المعارضة السورية الرسمية؛ ولهذا فقد كان طبيعياً، ومنطقياً بالطبع، ان ينزّه سياسات بلاده ـ عموماً، في المنطقة؛ وبصدد الملفّ السوري، بصفة خاصة ـ من كلّ خطأ أو زلل أو تقصير. «علّى أن أكون صريحاً جداً مع أصدقائي في المعارضة السورية، إذا قرر الرئيس أوباما غداً أنّ سقوط ١٤٦ ألف قتيل، أو أي عدد آخر، بات كافياً ويتخذ قراراً حول ضربة عسكرية، ماذا سيحدث الأسبوع المقبل؟ هل لدى المعارضة السورية تصور حول من سيتولى أي مناصب لإدارة الدولة، وما الإجراءات الضرورية لحماية الشعب وتوفير الأمن وتقديم الضمانات للأقليات؟»، صرّح فورد.

كذلك فإنّ المعارضة «لم تستطع أبداً أن تفرّق بين ما تمثّله هي وما يمثّله تنظيم «القاعدة». لفترة طويلة جداً، لم ينتقدوا حتى «القاعدة»، وحتى الآن لا ينتقدون «جبهة النصرة». ولنكن صريحين، نعرف ما هي جبهة النصرة، وقد دخل عناصرها مناطق وقتلوا مدنيين من الأقليات الطائفية ويجب إدانة ذلك».

في حزيران (يونيو) ٢٠١٤، بات فورد «مواطناً أمريكياً عادياً»، حسب توصيف ماري هوف، المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأمريكية؛ ولهذا، صار من حقه أن يصرّح بما يشاء ويعتقد، خارج أيّ رادع وظيفي. إلى درجة قلب المعطف تماماً، وارتدائه من القفا؟ نعم، كما تقول تصريحاته الأخيرة: الولايات المتحدة ترددت في دعم المعارضة المعتدلة في سوريا، والسياسية الأمريكية لم تتطور، حتى أنّ فورد بلغ «الحدّ الذي لا يمكنه فيه بعد الآن الدفاع عنها علانية»، وكان على واشنطن أن تفعل المزيد وتبادر منذ وقت طويل بمساعدة المعتدلين في صفوف المعارضة السورية؛ و«لو فعلنا ذلك قبل عامين، لما استطاعت جماعات 'القاعدة'، التي تكسب أتباعاً، أن تنافس المعتدلين الذين نتفق معهم في الكثير من الأمور»؛ مع التأكيد، من جانب فورد دائماً، على أنّ روسيا وإيران و«حزب الله» ظلت، في غضون ذلك، تواصل زيادة مساعداتها لنظام بشار الأسد، بدرجات كبيرة بلغت مستوى القتال إلى جانبه.

والحال أنّ هذا التطوّر في «عقيدة» فورد، إذا جاز اعتباره كذلك، يذكّر بنقلة أخرى لعلها الأكثر دراماتيكة، على امتداد سجلّه الدبلوماسي، وربما الشخصي، الحافل: الزيارة التي قام بها إلى مدينة حماة، مطلع تموز (يوليو) ٢٠١١. ولعلّ المرء لا يبالغ إذا منح تلك النقلة مكانة خاصة في أرشيف العلاقات بين الولايات المتحدة ونظام «الحركة التصحيحية»، على امتداد ٣٠ سنة من حكم حافظ الأسد، و١١ سنة من حكم وريثه بشار الأسد. مكانة دراماتيكية، كما يتوجب القول، ليس بمعنى أنها أضافت أيّ تبدّل حاسم ونوعي على مسارات تلك العلاقة (وهي، بالفعل، سلسلة مسارات متغايرة، ولم تكن متجانسة على الدوام)؛ بل بمعنى الدراما التي تستدعي المسرح والمسرحة، كلٌّ على خشبته: في واشنطن ودمشق على حدّ سواء، وكلٌّ على طرائقه، واستناداً إلى ما يريد إرساله من إشارات.

ورحلة السفير إلى حماة اختارت توقيت «جمعة لا حوار»، حيث شهدت ساحة العاصي مشاركة مئات الآلاف. ولعلّ رمزية غضب النظام، ومثلها رمزية ابتهاج الخارجية الأمريكية، كانت تكمن في هذا التفصيل المباشر، أي المبيت في فندق يطلّ على الساحة، وتثبيت شهادة عيان على هذه الجمعة تحديداً؛ قبل الرمزية الأخرى الأكبر، التي تنبثق من موقع حماة الخاصّ، سواء في تاريخ الاستبداد السوري، أو صمت واشنطن على ذلك الاستبداد. ما لم يكن متفقاً عليه، كما اتضح لاحقاً، أن تأخذ ردود أفعال الطرفين، في واشنطن ودمشق، ذلك المستوى من حدّة التراشق اللفظي (خارجية النظام اتهمت واشنطن بـ«التورط» في الحركة الاحتجاجية و«التحريض على التصعيد»، والناطقة باسم الخارجية الأمريكية ردّت بأنّ هذه الاتهامات «قمامة صرفة»). ومن المشروع التفكير بأن تصريح الرئيس الأمريكي باراك أوباما (أنّ الأسد «فقد شرعيته. وقد ضيّع الفرصة تلو الفرصة لتقديم جدول أعمال حقيقي للإصلاح»)؛ استهدف تهدئة اللغة، أو بالأحرى ضبط مفرداتها عند المعدّل الذي كان يمثّل خطّ واشنطن تجاه النظام السوري.

لماذا ذهب السفير فورد إلى حماة، إذاً، وهل كانت زيارته مقدّمة لنقلة نوعية في السياسة؟ كلا، في الإجابة على الشطر الثاني، لأنّ أية نقلة نوعية هي رهن بما تحققه الانتفاضة السورية من انتصارات، وما تسجّله من علائم ملموسة على طريق تقويض نظام «الحركة التصحيحة»؛ والموقف الأمريكي سيكون عندها بمثابة انحناءة أمام قوّة الواقع، موضوعية وقسرية لا منّة فيها ولا فضيلة، تماماً كما كانت حال واشنطن في تونس ومصر.

وهكذا ينبغي أن يُفهم تصريح أوباما، حين سُئل عن السبب في أنه لم يطالب صراحة بتنحّي الأسد: «الشعب السوري سيكون، ويجب أن يكون، قادرًا على تقرير مستقبله بنفسه، وهناك حقاً توافق متزايد بين الشعب السوري على أنه يجب أن يحدث هذا التحوّل، وأن الرئيس الأسد لن يقود هذا التحول».

أمّا الإجابة عن الشطر الأوّل فهي أنّ مكوث الإدارة على هذا الموقف، أي الدعم اللفظي لمطامح الشعب السوري والمراهنة الضمنية على إمكانية بقاء نظام «الحركة التصحيحية» وإجراء «إصلاحات» داخلية تجميلية هنا وهناك؛ كان يتطلب شحنة من الدراما لإقناع الرأي العام الأمريكي والدولي بأنّ واشنطن لم تعد صديقة الطغاة والطغيان.

كذلك اقتضى الحال اللجوء إلى بعض السلوك المسرحي في مخاطبة الشارع الشعبي السوري، الأمر الذي كان يشمل النظام وشارعه المؤيد أيضاً، وكان يدخل في باب الضغط الشكلاني على السلطة، والبحث عن «رمزية» ما، هنا وهناك، تُشبع اللفظ والبلاغة الجوفاء.

لقد اضطرّ السفير، في كلمته ألقاها أمام الحشود، إلى امتداح متظاهري حماة، وأطلق على أفراد الأمن صفة «السفاحين»، كما نفى أنه أبصر «علامات على وجود أي عصابات مسلحة في أي مكان» مرّ به خلال زيارته الحموية؛ لكنه تفادى الحديث عن سجلّ بلاده الأسود في الموقف من مجزرة المدينة، سنة ١٩٨٢. آنذاك، ظلّت الأقمار الصناعية الأمريكية ترصد دقائق الدمار الذي تعرّضت له المدينة، وتتابع كلّ طلعة طيران، وكلّ تحليق حوّامة، وكلّ قذيفة من دبابة أو من مدفع ثقيل؛ لكنّ لسان حال الإدارة، أيام رونالد ريغان دون سواه، التزم «الصمت البنّاء» حيال المجزرة، ودمدم بعض مسؤولي الإدارة حول سقوط عدد من الضحايا يقلّ عن الألف، حين كانت الأعداد تتجاوز الـ ٢٠ ألفاً!

ولعلّ الحظر الذي كسره فورد، اليوم، فانتقد سياسات بلاده، وكان قبل أشهر مدافعاً شرساً عنها، ينبثق بدوره من «رمزية» طارئة، دراماتيكية بدورها في ناظر السفير السابق: لا القصف بصواريخ «سكود»، ولا بالقاذفات المقاتلة والبراميل المتفجرة، ولا الهجمات بالأسلحة الكيماوية والغازات السامة، ولا ١٦٥ ألف شهيد... بل، أغلب الظنّ، هذه المهزلة الأخيرة، الأشدّ ابتذالاً وفجوراً وقحة وبذاءة، التي يسير فورد على نهج نظام الأسد، فيسمّيها «انتخابات». وكما في تموز/يوليو ٢٠١١، وآذار/مارس ٢٠١٣، وحزيران/يونيو ٢٠١٤... ظلّ فورد يقلب المعطف تلو الآخر، ويتنقل من خشبة مسرحية ركيكة إلى أخرى أكثر ركاكة، مقتفياً في ذلك أثر سياسات بلاده، قبلئذ وبعدئذ؛ وهكذا سيظلّ، وأمثاله، حتى يتولى الشعب السوري القول الفصل، ويُسدل الستار على الطغاة والمنافقين، سواء بسواء.

هل ما يزال الحل السياسي ممكناً

بقلم: بشار ادلبي

تتعدّد معاني عبارة الحل السياسي في سورية وتختلف تفسيراتها بحسب قائلها، فإذا أتت من أحد السياسيين الأمريكيين أو الغربيين فتعني استمرار تغاضيهم عن جرائم النظام ورغبته في بقاء الحال على ما هو عليه، وإذا خرجت عن مسؤولين سعوديين فإنها تحمل غزلاً لإيران ربما لا يكون متبادلاً، أما ورودها عن مصدر تركي فيؤكد رغبتها في توطيد العلاقة مع إحدى الدول الداعمة للنظام لتستفيد من أزمة تمر بها تلك الدولة وتحقق من ورائها منفعة اقتصادية.

يخرج من بين ذلك الصخب صوت السيد معاذ الخطيب الذي لا يزال يؤكد على رغبته في حل سياسي وبطريقة سلمية مشروطة، تحولت رغبته هذه من مبادرة رسمية منذ كان رئيس للائتلاف إلى فردية تصدر عن شخصية وطنية تحظى باحترام الجميع، لا تلبث تخفت نداءاته حتى يعود ويكررها، ولا مجيب في كلى الحالتين.

ولكن ما يعني الحل السياسي للأزمة السورية؟ وهل لا يزال هذا ممكناً أو مجدياً؟

من البديهي أن ذلك الحل سيأتي عبر التفاوض بين الطرفين المتحاربين، ويجب أن يحظى في النهاية على الموافقة من كليهما، وبالطبع لن يوقع أحدٌ على قرار إعدامه، وبالتالي بقاء مجرمي النظام دون محاسبة، ولعل أبعد ما قد تبلغه تلك الاتفاقية هو تغيير بعض القيادات العسكرية والأمنية، أي استبدال عدد من المجرمين الكبار بآخرين أصغر منهم ليبقى الوضع على ما هو عليه في نهاية المطاف وتذهب كل التضحيات أدراج الرياح.

في خضم هذا الإجرام والإرهاب الذي ما برح يقاسيه السوريون، ليس أقسى من فرار المجرمين من القصاص إلا استمرار تلك المذابح إلى أمدٍ غير منظور، والتي ما فتئت تزداد قبحاً يوماً بعد آخر، وربما هذا ما يدفع البعض، وعلى رأسهم السيد معاذ الخطيب، إلى طرح مثل تلك المبادرات لحقن دماء من تبقى من السوريين، فليس أكرم من الإنسان والثورة التي قامت من أجله ولا فائدة من الانتصار فيها من دونه. على كل حال يبقى الحل السياسي في الوقت الراهن غير وارد نظراً لغياب أدنى مقوماته، فلا بوادر عن تحرك جدي أو ضغط دولي -كان الكثيرون يمنّون النفس به ويربطونه بموعد الانتخابات- يجبر مندوبهم في سورية عليه، فلا يخفى على أحد التغاضي عن المهزلة الانتخابية وتمريرها، وكذلك السكوت عن الفظائع المرتكبة يومياً، وما تزال التقارير الصحفية الغربية تؤكد استمرار استخدام النظام للسلاح الكيماوي، وحسب ما ذكرته مؤخراً صحيفة لوموند الفرنسية عن استعمال النظام لغازات سامة بشكل روتيني لا يصدر عنها رائحة أو دخان، في الوقت الذي تتقاسم فيه جميع الدول إثم تعطيلها لمؤسسات المجتمع الدولي/ التي من المفترض أن يحتّم عليها عملها أن توقف تلك المذابح وذلك الإرهاب غير المسبوق، فأي شيء بعد هذا يمكنه أن يجبر النظام على الجلوس إلى موائد التفاوض والتي ستفضي في النهاية إلى تخلّيه عن السلطة أو جزء منها وأقصى ما تواجه به إرهاب النظام التعبير عن رغبتها بين الحين والآخر في الحل السلمي السياسي في سورية.

قد يتمخض مستقبل الأيام عن جديد متى شبعت إسرائيل من دماء السوريين واطمأنت لخروج سورية ربما لعشرات السنين من دائرة المواجهة معها، فيُجبَر النظام وقتئذ على القبول بحل سياسي يرضيه أولاً تختلف التكهنات كثيراً حول ماهيته، لكن بالانطلاق مما حدث في الجوار السوري وما يسعى الغرب لتكريسه من فوضى وعدم استقرار على كافة الصعد فلن يكون أمام السوريين إلا طائف جديد، أي تبقى الدول السورية على شكلها السابق للثورة مع احتفاظ كل دولة داعمة لطرف من أطراف الصراع بحصتها منها، والنموذج اللبناني هو الأقرب للتطبيق في سوريا بعد «نجاحه» في العراق، فبعد عشر سنوات ومئات المليارات من عائدات النفط لا تختلف مدنه أو أحوال شعبه كثيراً عما في الصومال، ولا يخفى على أحد تمزّقه واستمرار رزوحه تحت نير الدكتاتورية، وهذا ما يهم الغرب وإسرائيل، فإما الفوضى أو الرضوخ لدكتاتوريات يدعمونها، وبكل بساطة هذه قاعدتها في التعامل مع شرقنا النفطي.

في لبنان تقاسم أمراء الحرب السلطة بعد تقاسم للآثام والجرائم طيلة خمسة عشر عاماً من القتال، أما الشعب فدفع ثمن الحرب ولا يزال يدفع ثمن الخلافات بين ملهميه، يلعبون على أوتار الطائفية فيتخدر وينسى آلامه واحتياجاته وفسادهم، ثم يرصّ صفوفه خلف أولئك القادة الذين ضحوا بكل شيء وأقحموا أنفسهم يقاسون ترف القصور، بينما تركوا لأنصارهم لذائذ الاستمتاع بنشوة الاحتفاء بهم، تحكمهم الغوغاء فتحركهم أدنى إشارة من إصبع رِجْلِ زعيم الطائفة دون التفكير بحق أو محاولة تجنب باطل، في سورية من المفترض أن تكون الحال أقل سوءاً نظراً لكون السنّة أكثرية ساحقة، وهذا ما يضمن إبعاد سورية كثيراً عن أشباح الطائفية على الرغم من الترويج الإعلامي لما يعاكس ذلك، لكن تعدد الأطراف في داخل المعارضة والانقسامات والخلافات فيما بينها، والتي تعكس التناحر بين داعميها الإقليميين، أخّل كثيراً بميزان القوة ذاك، وجعل إلى حدٍّ ما كل فصيل معارض يعتبر نفسه طرفاً مستقلاً، وبذلك تشرذمت الأكثرية ويُخاف أن تذهب ريحها، وإثر أي حلٍّ سياسي سنكون أمام مشهد تتنازع وتتقاسم السلطة فيه عدة أطراف من أمراء الحرب الأميين، وصولاً إلى بقايا النظام، ومروراً بالثوار الحقيقيين، والذين سيحرص الغرب على إضعافهم بقدر حرصه على الحفاظ على إبقاء بعض القوة بأيديهم لتكريس الصراع ومنحه صفة الديمومة، وهذا ما سيضعف الجميع ويلهيهم عن النهوض، ومن ثم تهديد إسرائيل، فالدول الداعمة لمعارضي النظام هي بحد ذاتها متصارعة متناحرة ولم توفر دولة من دول الربيع العربي إلا وحولّتها إلى ساحة لذلك الصراع، وبالأخص أكبر دول داعمة للثوار، السعودية، والمسؤولة عن إفشال الربيع العربي، فسعيها لإعادة الأنظمة السابقة لا يخفى على أحد، وقد نجحت في ذلك، فإذا كانت تلك سياسة ذلك الداعم والممول واستراتيجيته التي يربط وجوده وترسيخ أركان حكمه بها، فماذا ننتظر منه في سورية؟

مما يؤخر الحل السياسي صعود القوى الإسلامية في سورية وظهور تأييد شعبي واسع لها، وهذا ما يستدعي تجهيز حفتر جديد في سورية لمواجهتها في مستقبل الأيام قبل التفكير بإنهاء الصراع، أما داعش فهي صمام الأمان لإسرائيل والولايات المتحدة، والذي تعوّل عليه إن فشلت كل خططها.

النظام انتهى، ولم يعد له وجود إلا إعلامياً، أما على الأرض فتدار وتقاد المعارك بأيادي إيرانية، وينفذها المؤمنون بولاية الولي السفيه، وأي حل سياسي لا بدّ أنّه سيخرج أولئك الحاقدين الطائفيين من سورية، الذين يمثلون أغلب قوى النظام على الأرض، فبدونهم هو لا شيء، ولعلّ هذا ما يمثل أكبر العقبات أمام هكذا حل، ولنفرض أنّه حدث فإنّ من شأن ذلك أن يقدم طوق النجاة لبقايا النظام ويمنحها الفرصة للعودة إلى الحياة من جديد.

مشروع التوطين في سورية

بقلم: القاضي مصطفى القاسم

ارتفعت الأصوات في الأشهر الأخيرة متحدثة عن جهود حثيثة وعالية يبذلها نظام الأسد وموالوه بغرض تهجير وتشريد شرائح واسعة من المواطنين وتوطين جماعات بشرية مستحدثة ومستقدمة من بلدان أخرى مكان المواطنين الأصليين المهجرين، والسؤال الذي يطرح نفسه أولاً وقبل كل شيء: هل هناك مؤشرات على صحة هذه الأنباء؟ وفي حال وجود المؤشرات: متى بدأت هذه العملية وما مداها؟
فهل هناك مؤشرات على الشروع في التوطين في سوريا؟

أولاً، لم يعد خافياً على كل ذي نظر الجهود الحثيثة والواسعة التي ينتهجها النظام غير الشرعي في سوريا لتهجير وتشريد تجمعات سكانية كاملة من المواطنين السوريين الأصليين إلى بلدان خارجية أو مناطق داخلية ثانوية، وقد بدأ ذلك بتهجير القسم الأكبر من أهالي مدينة حمص من المسلمين السنة الذين يزيد عددهم عن مليون ونصف المليون مواطن وهدم أحيائهم بشكل كامل للحيلولة دون أي أمل في عودتهم إلى أرضهم، ثم فعل المثل في درعا ودير الزور وريف دمشق وهو يفعله الآن في حلب، وتدل مسيرة الأحداث أنه سيفعله عندما يحين الوقت في باقي المدن.

ثانياً، استقدم النظام غير الشرعي مجموعات كبيرة نسبياً من جنسيات غير سورية وسكنوا تدريجياً في عقارات محيطة ببعض المعابد في المرحلة الأولى ثم توسعوا بباقي الاتجاهات وشرعوا في تملك العقارات وإقامة التجارات وتأسيس الصناعات مع الكثير والكثير جداً من الامتيازات على حساب حق المواطنين في العمل والاستفادة من الفرص. ثم راحوا أخيراً يظهرون باللباس العسكري على الحواجز وفي الدوريات، وشرعوا في التضييق على المواطنين واعتقالهم وتعذيبهم وحتى قتلهم وتهجيرهم.

ثالثاً، أعلن النظام اللاشرعي عن مجموعة من الإجراءات الهادفة إلى الحيلولة دون عودة المواطنين الأصليين إلى مناطقهم الأصلية، من ذلك إحراق القيود المدنية والعقارية والاستيلاء على العقارات التي تركها أصحابها مؤقتاً نتيجة اضطرارهم للهرب بأرواحهم وتوزيع هذه العقارات على أشخاص آخرين تحت عنوان حاجتهم الماسة إلى السكن لفقدانهم مساكنهم، والكل يعلم أن المساكن الوحيدة التي فقدت هي مساكن أولئك الذين اضطروا للهرب تحت قصف جيش النظام وميليشياته نجاة بأرواحهم.

رابعاً، ترافق كل ما سلف مع الكثير من أعمال القصف والتدمير والقمع والقتل والتعذيب والاختفاء القسري والخطف الممنهج والاغتصاب والإرهاب المنظم والتسريب المتعمد لمقاطع مصورة عن أعمال غير إنسانية بقصد زرع الرعب في قلوب فئة محددة من المواطنين هي المقصودة بالطرد والتهجير، وذلك لدفع من بقي إلى الهجرة والحيلولة دون أن يفكر من هاجر بالعودة مجرد تفكير.

فإذا كانت هذه المؤشرات قد ظهرت وهي تثبت بشكل قطعي التوجه الحاسم نحو تهجير السكان الأصليين واستقدام بدلاء للحلول محلهم على الأرض وفي القيود وعلى مستوى المكون الأساسي للدولة المتمثل في الشعب، فهنا يتوارد إلى الأذهان السؤال الثاني الذي طرحناه سابقاً وهو: متى بدأت هذه العملية؟ وما مداها؟
لقد بدأت هذه العملية منذ عقود ونفذت على مراحل، سيفاجأ البعض وقد ينكر أن هذه العملية قد بدأت منذ عقود! وقد يكون أحد أسباب استغرابه ناجماً عن ظن وقر في صدره بأن توجه النظام الأسدي هذا قد بدأ كردة فعل على الثورة وموقف الحاضنة الشعبية. لكن المطلعون على بواطن الأمور يدركون أن هذه الممارسة قديمة ومتأصلة في ممارسات هذا النظام منذ نشوئه.

المرحلة الأولى:

تحيط الشكوك بأصول رأس النظام حافظ الأسد إذ لا يعرف له من أجداده في سوريا سوى جد واحد، وبالتالي تسري في صفوف السوريين حتى المحيطين بالأسد الكثير من الأقاويل والتأويلات والشكوك حول أصول هذه العائلة والبلاد التي انحدرت منها.
ومما زكى هذه الشكوك تولي الكثير من الأشخاص في عهد الأسد مفاصل هامة في السلطة (رئاسة الوزراء، رئاسة الأركان، رئاسة أجهزة أمنية، محافظين...) دون وجود ما يثبت أنهم سوريين منذ بضعة سنوات سابقة لتوليهم وظائفهم العامة، ولمعت في هذا المجال العديد من الأسماء في عهد الأسدين الأب والابن التي تناقلت الألسن أخبار انحدارها من طائفة بعينها تنتسب إلى لواء اسكندرون الذي يحتوي على الكثيرين من أبناء الديانة العلوية الموالية للأسد.
وقد يتبادر إلى الذهن أن هذه ممارسات فردية لا ترقى إلى مستوى التهجير والتوطين، ولكن حقيقة الممارسة تثبت أن هؤلاء المسؤولين كانوا واجهة لممارسة متأصلة تجسدت في إدخال أعداد كبيرة جداً من غير السوريين إلى السجلات السورية وتسجيلهم كسوريين أباً عن جد، وإدراج أسمائهم في قيود الأحوال المدنية ضمن مراكز المدن الرئيسية وفي الأحياء التي تقع ضمن أسوار المدن القديمة بحيث يظهرون كسوريين أصلاء منبثقين من قلب الوطن تاريخياً وجغرافياً.
وترافق ذلك مع عمل النظام الأسدي بشكل حثيث على استملاك عقارات المالكين القدامى وتوزيعها بطريقة جديدة بحيث تخصص في معظمها للوافدين الجدد، كما أعطي هؤلاء الضوء الأخضر لبناء المساكن العشوائية في عقارات لا تعود لهم أصلاً لتسهيل تملكهم لها مستقبلاً. كما ترافق ذلك مع ضغوط أمنية مارستها الأجهزة المختصة بشكل تصاعدي على الفعاليات الاقتصادية وأصحاب رؤوس المال للتخلي عن استثماراتهم ومغادرة البلاد لإتاحة الفرصة للمستثمرين الجدد وفتح الملعب أمامهم كاملاً. وفي عهد الأسد الابن قفزت المخططات قفزات جديدة فوضعت القوانين والتشريعات في خدمة هذه المخططات ولتسهيل استثمار الأموال المنهوبة وتبييضها ونقلها إلى الخارج وتنقلها بين الدول بغرض خدمة المشاريع الخاصة للنظام ومقربيه، وزاد ذلك من قدرة النظام الاقتصادية وإمكانية فرض مشاريعه الداخلية في إطار تغيير الواقع الديمغرافي، فأرسل مندوبه محمد إياد غزال (المنحدر من لواء اسكندرون أصلاً) كمحافظ لحمص، وبادر هذا الأخير عقب وصوله بأيام إلى إعلان مشروعه (حلم مدينة حمص) !! كان هذا الحلم بمثابة كابوس لأهالي حمص، فالحلم الكابوس يقتضي هدم مركز المدينة حيث المركز التجاري ومعظم الفعاليات الاقتصادية لأهل حمص الأصليين من المسلمين السنة، وإعادة إعمار هذه المنطقة بأسلوب معماري جديد سيؤدي إلى حلول مالكين جدداً محل المالكين السابقين، كما سيستملك الحلم مساحات واسعة من أراضي المسلمين السنة الأكثر خصوبة تمتد من بحيرة قطينة في الجنوب الغربي من مدينة حمص إلى شمال شرقي تلك المدينة، وبغرض التغلب على أية ممانعة من المالكين والتي بدأت معالمها في الظهور ولتسخير المشروع في خدمة كبار المسؤولين والمستثمرين فقد أصدر (رئيس البلاد) قانوناً تحت اسم قانون التطوير العمراني، ويسمح هذا القانون للذين يسجلون أنفسهم أو شركاتهم كمطورين عمرانيين بأن يقدموا مخططات لأي منطقة عقارية مهما كان نوعها أو عمر البناء فيها، وتقوم الدولة عندها بتشكيل لجنة لتقدير قيمة العقارات في تلك المنطقة وإخلائها من ساكنيها عنوة في مقابل القيمة المقدرة لعقاراتهم أو اعتبارهم شركاء في رأسمال المشروع بما يعادل قيمة حصتهم والتي لن تعادل شيئاً على الإطلاق إذا اكتمل المشروع.
لكن الذي لم يكن بحسبان ذلك النظام أن يكون تدبيره سبباً في انطلاق شرارة تدميرية لا تبقي ولا تذر، ولئن كانت درعا شرارة الثورة فإن حمص كانت مادتها المتفجرة، فقد اندفع أبناؤها المحقونين بالممارسات التعسفية التي مارستها السلطة ورجالاتها و(الطائفة المميزة) من خلال احتكار السلطة والوظيفة العامة والمصالح الاقتصادية وهيمنة الأجهزة الأمنية ومن ثم محاولة سلب الأملاك الخاصة، اندفع أبناء حمص في مظاهرات عارمة رسمت أولى ملامح الثورة السورية، لقد كان ذلك بمثابة طلقة الرحمة التي أعلنت وفاة المرحلة الأولى سريرياً.

المرحلة الثانية:

لقد حاول الأسد الابن إنعاش مشروع حلمه وحلم طائفته في استكمال الاستيلاء على مدينة حمص، لذلك واصل تمسكه بمحمد إياد غزال كمحافظ لحمص رغم تصاعد الاحتجاجات الشعبية المطالبة بإسقاط المحافظ، ولكنه اضطر لاحقاً لاستبداله مكرهاً، كان تمسكه هذا مكابرة وعنجهية، كما كان مؤشراً على الاستعداد للذهاب بعيداً في طريق رفض المطالب الشعبية.
وعندما أيقن النظام استحالة تحقق حلمه بالاستراتيجيات الهادئة استبدل استراتيجيته وقرر التنفيذ عنوة، وأصدر أوامره باستخدام كل الوسائل التدميرية لهدم ما كان يأمل في هدمه بالطرق الخداعية.
وتحت أنظار العالم، وفي سابقة تاريخية لم يشهد لها التاريخ المعاصر مثيلاً، شرعت آلة التدمير الأسدية في قتل وتهجير البشر وهدم الحجر... لم يصدق السوريون أعينهم وهم يرون جيشهم يفتك بهم، وأسلحتهم التي دفعوا ثمنها من مستوى معيشتهم لتحميهم من غدر العدو توجه إلى صدورهم ورؤوسهم، لقد حاصرت آلة عسكرية متكاملة ومدججة بكل صنوف الأسلحة حي بابا عمرو السكني الفقير في حمص ومنعت سكانه من الخروج وشرعت في هدمه فوق رؤوس ساكنيه. ومن بين سكان الحي الذين يزيد عددهم عن ثلاثين ألفاً من الرجال والنساء والأطفال كان هناك فقط بضع عشرات من الشبان المسلحين، ولم تكن أسلحتهم تتجاوز بضع بنادق صيد أو بنادق كلاشينكوف أو آر بي جي، وكان يتناوب على السلاح الواحد مجموعة منهم، ورغم ذلك فقد قاوموا الجيش العرمرم لمدة شهر كامل وهم ينتظرون تحركات (المجتمع الدولي والقانون الدولي الإنساني والضمير العام العالمي) !!!
وعندما تبين لهم أنهم (في انتظار غودو) وقد نفذت ذخيرتهم، انسحب الثوار المسلحون، ودخل الجيش وميليشياته الحي واستكملوا مسيرة القتل والاعتقال والتدمير. ثم راح النظام ومن يقف وراءه يفتعلون الأحداث في هذا الحي وذاك متنقلين بين الأحياء في استكمال لمسيرة التدمير والتشريد والتهجير، حتى إذا انتهت أعمال القصف وهدأت الأصوات حيناً عاد بعض الأهالي لتفقد ما تبقى من بيوتهم فوجدوا البيوت القليلة التي لا تزال صالحة للسكن محتلة من قبل غرباء مسلحين.

المرحلة الثالثة:

ومع توالي فصول المرحلة الثانية في مختلف المدن فقد شرع سماسرة النظام في المرحلة الثالثة، وتتمثل هذه المرحلة في البحث عن المشردين في الداخل والمهجرين في الخارج، والسعي لاستغلال يأسهم وظروفهم المادية القاسية ولإقناعهم ببيع عقاراتهم لتجار مستعدين لشرائها رغم ظروف الحرب والهدم ووجود إشارات الحجز!! وراجت في هذا المعرض أسماء مشهورة تتدلى من رؤوسها لحى عرفت بتجارتها في الدين وبيعها للقيم والأخلاق والمبادئ.
لقد بات السوريون أمام نمط استيطاني مخطط وخارجي تستوطن فيه جماعة بشرية غريبة أرضهم، على الرغم من إرادة المواطنين الأصليين سكان تلك الأرض، مع شعور بالتفوق العرقي عليهم، وممارسة شتى ضروب التمييز العنصري، وإنكار وجود المواطنين الأصليين القومي وادعاء الحق التاريخي واستخدام العقيدة لتغطية المطامع الاستعمارية.
لكن (النظام) الذي أغرق البلاد في دوامة الفوضى هذه، قد فقد سيطرته وسلطته لصالح داعميه الخارجيين، وفقد شباب مؤيديه من طائفته، ولا زال يتابع حرباً ستفقده من بقي، وستدخل إن لم تكن أدخلت مؤيديه من طائفته في صراع على السيطرة والسلطة مع مؤيديه من الخارج بعد أن تكون حربه مع شعبه قد أنهكته بشكل كامل.
إنها ذات خطوات بني صهيون في احتلالهم لفلسطين، استعماراً واستيطاناً، فهل نحن متعظون؟ وماذا نحن فاعلون؟؟

الوسطية بين الإفراط والتفريط

إعداد:الشيخ أبو الحسن

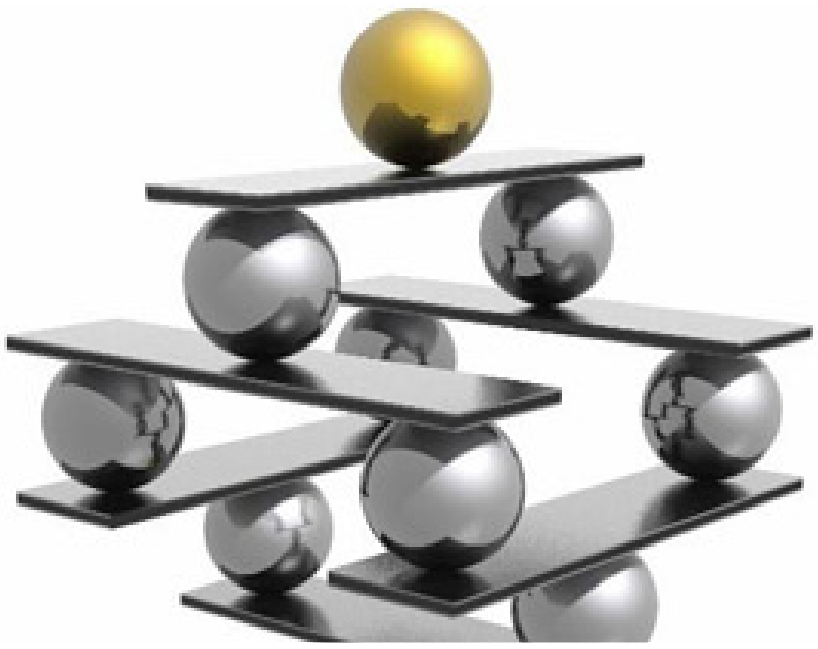

وسطية الإسلام تستلزم الابتعاد عن الإفراط والتفريط في كل شيء، لأن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط، وكل من الإفراط والتفريط خروج عن جادة الطريق .

فوسطية الإسلام تقتضى إيجاد شخصية إسلامية متزنة تقتدي بالسلف الصالح في شمول فهمهم واعتدال منهجهم وسلامة سلوكهم من الإفراط والتفريط، والتحذير من الشطط في أي جانب من جوانب الدين، والتأكيد على النظرة المعتدلة المنصفة والموقف المتزن من المؤسسات والأشخاص في الجرح والتعديل.

فوسطية الإسلام تلزم الأمة الإسلامية بمقاومة الغلو والتطرف في الدين، ورد الغلاة إلى منهج الاعتدال والحكمة، ورعاية حقوق نفسه وحقوق غيره، وحينما نتحدث عن وسطية الإسلام يتبادر إلى أذهاننا ما يقابلها من كلمة سائدة على ألسنة الناس اليوم وهي التطرف الديني، فالإسلام يدعو إلى الوسطية ويحذر من التطرف بجميع صوره وأشكاله .

فالنصوص الإسلامية تدعو إلى الاعتدال وتحذر من التطرف، وتعبر عنه بعدة ألفاظ منها : الغلو والتنطع والتشديد، فمن خلال تلك النصوص أصبح من الواضح الجلي أن الإسلام ينفر أشد النفور من هذا الغلو ويحذر منه أشد التحذير .

قال تعالى : ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ)).

وقال تعالى : ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ)).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين)).

ويقول شيخ الإسلام ابن تمية : قوله «إياكم والغلو في الدين» عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال .

وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((هلك المتنطعون « قالها ثلاثا)) أي المتعمقون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم .»

عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لاتشددوا على أنفسكم، فيشدد عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم)).

قال تعالى : ((يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)). وقال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)).

وقد اتضح من النصوص الشرعية المذكورة وغيرها أن الإسلام منهج وسط في كل شيء، في التصور والاعتقاد والتعبد والتنسك والأخلاق والسلوك والمعاملة والتشريع، وينهى عن الغلو والتطرف .

الشهيد محمد طيب إسماعيل الغزال (أبو الطيب)

في الشهباء حلب.. يتلألأُ كل صباحٍ نورٌ ينبثقُ من عيني شيخٍ جليلٍ، لم تثنه سني عمره عن الجهاد في سبيل الله، ولم تقعده شيبته عن نصرة دين الله، ولم يوقفه حب الحياة عن فداء الوطن بروحه وماله، ولم يمنعه ضعفه من تحفيز همم الشباب، وفي إصرار منقطع النظير لحمل السلاح ضد الظلم جمع أحبابه وأبنائه وأحفاده شكل كتيبة هو قائدها، سماها «أحباب المصطفى».

إنه الشيخ المجاهد القائد البطل الشهيد محمد طيب إسماعيل الغزال (أبو الطيب)، الملقب بـ «شيخ المجاهدين السوريين»، والبالغ من العمر ٧٠ عاماً، من مدينة الباب الأبية.

سُئل العم أبو الطيب ذات مرة عن سبب حمله للسلاح والقتال فأجاب إجابتهِ الشهيرة التي حفظها الكبير والصغير:» خرجت لأمور ثلاثة: لطلب الشهادة ولرفع كلمة الله لأن هؤلاء يُقاتِلوننا في ديننا، ولرفع همم الشباب القاعدين ، والثالثة أبقيها سراً بيني وبين الله».

تمنى الشهادة بصدقٍ فنالها بعد عام من الجهاد مقبلاً غير مدبرٍ، بعزيمة شابٍ في العشرين، وبقلبٍ أبيضٍ خط على جدرانه: الله ثم الوطن، وبتصميم فولاذي نادر في هذا الزمن، اختار لنفسه القتال بشجاعة وثبات في الصف الأول من الجبهة.

كان يقوم بمهام القائد بعزيمة وقوة كتغطية أفراد الكتيبة أثناء انتقالهم من مبنى لآخر مراتٍ عدة، وتعامل مع الجميع بأخلاقه الفاضلة، وصفاته الكريمة.

اشتهر شيخ المجاهدين بخفة الظل، والابتسامة التي تزين وجهه المنير، ورواية الكثير من القصائد والأشعار الحماسية.

وقد حاول النظام قتل صموده فباء بالفشل، حيث خرجت أكثر من مرة إشاعات تفيد بمقتل الشيخ، وقد نفاها الشيخ.

وجه شيخ المجاهدين رسالة للحكام العرب والمسلمين، وقال قولته الشهيرة التي تذكرنا بالبطل عمر المختار: (نحن بركان إما الشهادة عن بكرة أبينا أو النصر).

لم يخشَ في الله لومة لائم فوجه العديد من الرسائل للطاغية بشار، كانت إحداها: «أوجه رسالة لهذا الذي يسمي نفسه أسداً، وهو خلد وأصغر من الخلد، وأقول له: كل نار تشب يستطيع الإنسان إخمادها أو الحد من نشاطها، أما ثوراتنا فهي بركان لا أحد يستطيع أن يقرب منها إلا ويحترق، كبيراً كان أو صغيراً، وكل دول العالم لا تستطيع إخماد هذه الثورة».

وفي يوم الإثنين ٢٠١٣/٠٣/٢٥، وأثناء مشاركته في اقتحام الأبنية التي تتمركز فيها قوت النظام في حي سيف الدولة سدد له القناص رصاصةً زفته شهيداً.

رحل شيخ وظلت شمسه تشرق على المجاهدين كل صباحٍ؛ لتكون نبراساً يضيء طريقهم.

جريدة الكتائب

معتقلة

بقلم: بشار إدلبي

كان من حسن حظّها تقلّبها بين غيبوبة وصحو بعد توقفها عن الشراب أيضاً في اليومين الأخيرين، لم يكترث لها أحد، انزوت كل منهن بما على وجهها من أخاديد أظافر، وبما طبع على جسدها من دوائر عضٍّ، إلا أصغرهن التي لم تتعدى السابعة عشرة، غير أنّها كانت حنونة كأمّة، تزود عنها الحمى، تترقّب دقائق الغيبوبة لتحمل بكفيها ـ المثقلتين بآثار العض ـ الماء تسكب منه في فمها تارة وتريقه على وجهها وجسدها في أخرى، قبل أن تمتنع في صحوها عنه، فإذا أفاقت جلست قربها تمسح بيدها على رأسها وتتمتم بشفتيها، ظلّت تتقاذفها نيران الحمى راقدة في قاع الغيبوبة، يخنق الأنفاس في صدرها ما جثم فوقها من جبال غيظٍ فتجهد كثيراً لسرقة بعضها، كلما وعت ما حولها تراجعت جهنم إشفاقاً من نيرانها، وتدفق من جانبي عينيها تياران من الحمم. تئنّ في صحوها عبثاً، تحاول حبس أنفاسها قبل أن تسعف بقايا جسدها المحطم شهقةٌ تعيده مرغماً إلى شظف الحياة. تخبئ لها حصتها من فتات الطعام، وتظلّ تهمس في أذنها: «لازم تاكلي حرام اللي عم تسويه بحالك»، فتردّ زمردتان خضراوان احمرّ واسودّ ما حولها بشلالين أسودين.

في تلك الليلة تمنّت جميعهن أن لا يأتي عليها الصباح، وتوقعنّ ذلك، لم يجرؤ السجانون على الاقتراب من زنزانتها، وعلى الرغم من منعهم حتى للهمس، تقطع سكونهن القسري بصرخات مطلقةً معها رصاص كلمات سريالية لا يجمعها شيء، ازدادت حرارتها وغرق جسدها بماء تينك اليدين، أحسّت أنّها النهاية، فجلست واحتضنت رأسها وبدأت تداعب شعرها، تتسابق دقات قلبها مع دموع تمر على خدوش أظافرٍ فتلسعها. مع خيوط الفجر الأولى بدأت تهدأ ليختفي هذيانها تماماً، وراحت تُخفّض تلك المعجزة من حرارتها، «ما بيهمني كون فرحان ئد ما بتمنى شوف البسمة ما عم تفارع شفايفك»، تغيرت تضاريس وجهها قليلاً لتوحي بما يشبه الابتسام، ثم فتحت عينيها: «وين أنا» تحالف ذلك الصوت مع قدرٍ ظنّ أنّه سينصفها تلك الليلة وأتوها بمواكب النصر. حملتها وساعدتها على الاستحمام، وتبادلت معها الملابس، ثمّ حرصت على إطعامها كامل الرغيف. بقيت تتقاذفها رغبات الموت والبقاء حتى أرغمها ذلك الصوت على العودة إلى مضارب الحياة، تتلكّم نادراً مع منقذتها التي انشغلت بأخرى، وتبقى صامتة في ضيق ركنها تتعاقب ملايين الفصول على روحها في الدقيقة، «بدي وحدة عظيمة متل جبل رائعة متل حلم مستحيلة متل أسطورة» تُفرحها كثيراً قبل أن تهصر فؤادها تلك الكلمات وتبلّل أطراف أجفانها بدمع كاد ينضب قبل أن تنفلق الذكريات عن مشهدها الأسطوري اقترب فيه شاب من فتاتين في سنتهما الأولى في الجامعة وطلب التحدث مع إحداهما على انفراد، تجاهلنه فزجر إحداهن: «لا تخافي ما رح آكلها خمس دنايئ وبترجع لك».

ابتعدت صديقتها يحذوها الخوف، «من الآخر لو كنتي مخطوبة بدي آخدك من خطيبك، ولو كنتي متزوجة بدي آخدك من زوجك وما معك وئت تفكري هلئ بدي الجواب». تسقط كلماته كوابل مطرٍ ربيعي على روحها، لا تقابلها بغير قليل ابتسام وحُمرة ظلّت تتماوج فوق أعالي وجنتيها حتى صرعت بياضهما واستوطنت مكانه، وتتقاطر بعض حبات اللؤلؤ على جبهتها لتؤكّد له أنّها لا غيرها كل الحياة، لم تكن تدري بماذا أُسرت أكثر بوسامته أم بعنفوانه أم بما يفيض من عينيه من استجداء يجهد في مداراته، وكلما ظهر أكثر ازداد جدّةً محاولاً إخفاءه. تركته غارقاً في أمانيه وابتعدت تخبّئ دمعتين عاكستا بعذوبتهما قوانين الطيبيعة.

بعد أسبوع من تبادل النظرات أتى مع غروب تلك الشمس الخريفية تحمله نسمات تضفي برودتها الدفء على الأرواح، فتغلغل في بضع ثواني شذاً من عبقه في دقائق روحها لتقترن منذ تلك اللحظة أطياف السعادة بملامحه، وتردّد في أرجائها صدى همسات أخبرتها أنّها على حافة منتهى الأحلام، لا تفتأ تتذكر ذلك المشهد فتداعب السكينة قليلاً ما بين ضلوعها قبل أن يحرقها جحيم الواقع ويصعقها التفكير بالقدوم الحتمي للمستقبل. تقبع في قيعان براكين الحسرات ولا تبرح تتفجّر من قلبها حمم الندم قبل أن يمسح عنها قليل الألم يقينها بما فعلت، حلم بالحرية وعدة مظاهرات قذفوا بها في زنزانة مُلئت حقداً، يتزاحمن فيها على كل شيء حتى الأنفاس، تتمنى إحداهن أن تعاد للتعذيب هرباً من سعير ما يعتبره السجان راحة لهن. انسلخت عن واقعها وظلّت تتحمّل التعذيب بصمتٍ أجّج حقد الجلادين عليها.

عدة شهور على التخرج سيحلّ وعده عقبها، قبل أن تجري ذلك الاتصال وجمت كثيراً تصخب في أذنها كلماته الأخيرة: «أنا هلئ مسافر عالخليج انتظريني بس سنة وبرجع بخطبك ومنتجوز وباخدك ومنسافر». بضعة شهور على معانقة حلمها لكنها ضغطت الزر الأخضر وانضمت إلى شبكة قبل أن ترأسها وتنظّم مظاهراتها، آثرت المستقبل على مستقبلها، وصدقت كذبها عن خوفه عليها لا أكثر حين زجرها وطلب منها التوقف عن كل شيء بعد أن أخبرته بما تفعل.

دخل ثلاثة جلادين وحملوا جثّةً لفتاة عشرينية، انزلق أحدهم فارتفع رأسها، ليطلّ عليهن وجهها وقد توسدته ابتسامة تقطر السكينة من بهاء ضياءٍ طغى على قسماتها، شهقن وانفجرن جميعهنّ بالبكاء، أنشبت أظافرها وظلّت تضغط على رأسها حتى راحت تقطر الدماء من معصميها، كم تمنّت لو كانت مكانها. تتسارع أنفاسها وتتصارع في مخيّلتها آلاف الصور لتسكب اللهيب فوق جمرها، كم من أمر يفرّ منه المرء ليكون لغيره غاية المنى..

أطبق الليل مزيداً من ظلامه لتطوف مع انسحاب آخر الأضواء القليل من ملامح السكينة على ما تبقى بين ظهراني تلك الزنزانة من أرواح، تقوقعت على نفسها تجلدها سياط كانون لتنقذها صورة لشاب وفتاة ارتقيا يوماً ما حافة الزمان، ينير مساءهما ما يصدر عن تألق عيونهما، ويعطر الأجواء حولهما طهر حلمهما، اصطكّت أسنانها فخلع معطفه ولفّها به، أحست في قاع زنزانتها بدفء ذلك المعطف، فنامت ونسيت فوق شفتيها ابتسامة.

كالوا لها أفظع صنوف العذاب، لتبقى على صمتٍ فجّر أحقاد شياطين العالم ودفقها في عروق الجلاد ينهال عليها ركلاً وضرباً وإذلالاً، ثمّ يسحلها من شعرها بعد غيابها عن الوعي ويكدسها جثة شبه هامدة لتزاحم الضيق في زنزانة تشارك ساكنيها الآلام قبل أن تتكرّر آثامه من جديد.

أكدت له توقفها عن التظاهر، لكن لم يتمكن حلمها الأصغر من مجاراة الأكبر، متيقنة أنّ من كان يعشق غيفارا ويفوح من ملامحه ما يذكّر بعنفوانه سيفخر يوماً بما تفعل . «شو بدو يئول» سؤالٌ ظلّ يتردّد صداه في رأسها، يخفت قليلاً حين تحملها الأحلام إلى ذكرياتٍ أعادتها للحياة ورسمت عقب ثواني استرجاعها فتات بسمات انعكست عما اعترى روحها من ظلال السكينة قبل أن تدوي في رأسها تلك الكلمتان الآثمتان من جديد.

دخل شبح وقرأ اسمها مع ستة أخريات، تأخّرت عنهنّ لثواني تعبّ آخر الصور لمطبّبتها، يتزاحم على وجهها مزيج من المشاعر المتناقضة في صورة سريالية تتعارك فيها دموع الحزن والفرح، ويزيد في ألغازها منظر شفتين تضيعان بين ابتسام وشهقات تنبئ بلحظة الفراق. أغمي عليها لما عرفت أنّ أمامهن عدة ساعات قبل الإفراج عنهن، وبقيت متكومة ترتجف فوق كرسيها كمن يساق إلى الإعدام، لم تكن تدري هل وضعها القدر مع المفرج عنهن في صفقة لتبادل الأسرى أم الرغبة في التخلص منها.

خمسة عشر شهراً من لهيب الحسرات أذاب جسدها وأبقى فيه القليل من شظايا الروح، لا شيء غير تعاقب الأنفاس يربطه بالحياة، في وقتٍ يهيم فؤادها في أكوان الحسرات والآلام لا يبغي الخلاص، وكأن الأقدار ترسل بنبوءاتها. رأت الشمس لأول مرة بعد تلك الشهور وهي تغيب، وبدأ يزداد رجفانها. غدت ثقيلة أنفاسها كجبل قبل أن تزاحمها بعض الشهقات التي أبت توليد الدموع. ساعة من المشي تفصلها عن منزلها، أخذت منها أربع ساعات ثمّ ظلّت تدور حوله مترددة، حسم البرد الشديد أمرها وطرقت الباب، لم يبق سوى أبويها وأختها الصغرى بعد أن هاجر إخوتها، لم تطل ثواني الدموع ووهج العناق حتى أخذ الجميع مسافته منها يحدقون فيها، تداعب محبساً في بنصرها الأيمن وتقول: «شو صار معك جوا»، في أجواءٍ مريعةٍ لصمتٍ متحفزٍ جفت حتى دموع والدتها، «تعذّيب بس أنا لسا متل ما أنا».

تركتهم لاحتفالاتهم وقذفت بنفسها على سريرها تعتمل في جمجمتها كهرباء العالم وتتسابق رماح الأولين والآخرين في نهش صدرها، «انتي أحلى شي صار لي بحياتي» لم يتأتّى عن تلك الكلمات التأثير السحري المعتاد وقد بدأت رياح الواقع تهب على عوالم أحلامها.

راعها تركها لعدة أيام دون تعذيب، اقتادها الجلاد إلى غرفة المحقق معصوبة العينين، أجلست على كرسي، ساد الصمت لدقائق، انفجر بعدها بكيل التهم والسباب، ثم انقض مسعوراً يضرب رأسها حتى أغمي عليها. أفاقت لتجد نفسها عارية في سرير، وجسدها مثقل بالكدمات، وكل جزئيّة فيه تؤلمها. لأول مرة انفجر صوتها مدوياً ليزلزل المكان. دخل ثلاثة كلاب، خافت واختبأت تحت الغطاء، ظلّوا يضربونها ويشدون الغطاء ويركلونها ثم خرجوا، رموها في زنزانة واسعة استلقت على وجهها لدقائق وجسدها ينضح بالكدمات، وعلى ساعدها الأيسر آثار نزفٍ تحت الجلد تنتجه إبرة، سكبت النيران فوق لهيبها عبثاً تستجدي إخماد جحيمها، ثم انتفضت تصرخ وتضرب الباب، وراح صوتها يكسر صمت القسري الآثم «بدي شوف رئيس الفرع»، يدخل الجلادون ويسحبونها ثم يقذفونها مغمى عليها سابحة في دمائها، ثم ما إن تفيق حتى تعود لصراخها، لتبقى تدور في حلقات التعذيب والصراخ. ضاقت بها ذرعاً السجينات، فانضممن إلى الجلادين في ضربها، فأنشبت أظافرها في وجوههم وراحت تعض من تصل إليها لا تفرق بين من يدفع عنها ومن يضربها، ظلّت تتقاذفها أمواج التعذيب والصراخ حتى سقطت في قاع الحمى.

ظنّت أنّها الدعوة المليون لتناول العشاء، لكنها كانت الأمر الأول بإعداد حقائبها، تداعب خيوط الفجر الأولى خجلى جبين مدينةٍ يؤرّقها كثيراً سلبها من حلمٍ جميلٍ، متجاهلةً ما يدوي من القذائف وينزّ الرصاص في ضواحيها، أسندت رأسها إلى زجاج النافذة ترتد إليه عدة ضربات إثر كلّ مطب تستجدي آلاماً تدفع بها أخرى، لم تكن متأكدة أنّ نزوحهم خوفاً عليها أم منها، تقود أمّها السيارة بعزم ينقص الكثيرين من الرجال، أما أبوها فلم يعد يدري أيهم يهزه أكثر، الباركنسون أم رعب الحواجز. ثبّتت الأخت بصرها إلى الأمام ولم تُزِغْهُ حتى غادروا البلاد، فعبّت نَفَسَ من عادت إليه الحياة وكأن تلك الكيلو مترات كانت تفصلها عنها، أدركت اقتراب دفن تلك الفتاة الحالمة ولم يعد ينقصها سوى برهان واحد.

ليس أشد ألماً من الحزن سوى التظاهر بسعادة فرض عليها إبداؤها أمام عائلتها هرباً بها من سياط الشكّ في نظراتهم.

لم يكن ليخفى عليها قرارٌ يصرخ به برود وتجاهله، ولكن الحقائق الكبرى تحتاج لبراهين أكبر، قطعت جملة واحدة كلّ الحجج والذرائع وقذفته خلال أسبوع في ذلك المطار:

«معروض عليي مقابلة، بدي احكي ئصتي كلها وخبرهم عن اللي علمني مين هاد غيفارا».

انتظرته باكراً أمام مقهى رفضت دعوته لدخوله، ارتعش لحظة رؤيتها واشتعل به ألمٌ وكأنه اصطدم بقطار بثقل جحيم لم تتمكن أسراب الجراد وشهور السجن من جمالها، لكنها أورثتها نحلاً زادها ألقاً ولا يزال يعبق من حولها سحرٌ تتدفق أنهاره من عيونٍ مملوءةٍ بدموعٍ لا تفتأ تأبى إطلاق سراحها، تحفّها هالة أخّاذه تنير درب بقايا أشعة شمسٍ تصارع الضباب، يتأخر عن خطواتها ليسترق آخر النظرات منها، كسرت تنهيدة منه عدة دقائق من الصمت: «الحياة مو متل ما كنا مفكرينها، ما منئدر نطلع من واقعنا أو ننسلخ عن المجتمع من حوالينا»،

بدأت تتحول كل ذكرياتها وعوالمها إلى سراب.

«أنا بالنهاية بشر وما بئدر غير اتعامل مع النتائج «.

راح صوته يخفت ويخفت ثم تلاشى مع كل شيء جميل من ماضيها تبتعد عنه، أكثر ما يؤلمها سهام الشفقة في نظراته تزيد في سرعتها لتنسلخ عن آخر أحلامها وقد بدأت تضيع ملامحه في الضباب، وأيقنت أخيراً أنّه لن يأتي ليزرع الأحلام على صخور الواقع فتزهر، لو كانت تعرف أنّ السلام لا يعقب دائماً كل حرب لما اقتحمت معركتها، أسّرت بذلك لندمها، ما أفظع أن يفقد المرء إيمانه بنفسه.

محطمةً يرقد اليأس في بقايا ترغمها على عبور جسر الحياة بعد أن انسكبت على حافة حلمها آخر قطرة من دماءٍ كم تمنّت أن تتقاسمها معه، أربع وعشرون سنةً لم تعد تجد الفرح بين ثنايا صحاريها إلا في صورة لرجل يحمل فوق كتفيه طفلةً الرابعةً غارقةً في ضحكات متعاقبة يجري بها يلاحقه عدد من الأطفال ويصرخون «بابا بابا دوري دوري»، فيردّ: «لأ هلئ دور أميرتي»، يمكن لأي شخص أن يدفع أثمان الخسارة ولكن لا يستطيع الجميع تحمل ذلك.

أبو الفاروق السوري

إعداد: عبد الرزاق زقزوق

أبو فاروق شاب من الساحل السوري، كان طالباً في المرحلة الثانوية عند اندلاع ثورة الكرامة، وقرر الانخراط في صفوف الثورة مهما كان الثمن، فاضطر لترك دراسته وترك منزله في سبيل تحقيق هدفه الأسمى، حرية الوطن.

كغيره من شباب الوطن كان أبو فاروق يشعر بالغربة في بلده، الذي تحوّل إلى غابة البقاء فيها للأقوى على حد قوله. عانى ما عناه من فساد النظام وأعوانه، والذين كانوا يتحكمون برقاب الشعب وأرزاقه، ولم يكن يملك الجرأة على نقد الخطأ مهما كان «كنا نعيش في جمهورية الخوف، إن نطقت بكلمة منتقداً أحداً من أعوان الأسد فذلك معناه أن يقطع لسانك.. أي خوف زرعه فينا هذا النظام المجرم!!».

بدأ الثورة متظاهراً سلمياً، وشارك بجميع المظاهرات التي جرت في بلدته، ثم بدأت مساهمته الفعالة في تنظيم المظاهرات وكتابة اللافتات التي ترفع أثناءها، ثم المشاركة بنشرها على شبكة الانترنت.

تحول أبو فاروق إلى العمل كإعلامي مع الكتائب العسكرية، فتوحش النظام فرض على الجميع حمل السلاح للدفاع عن النفس.

يعتبر أبو فاروق أن إعلام الثورة مازال مبتدءاً ويحتاج إلى الكثير من الجهد ليصل إلى مستوى مقبول يستطيع من خلاله تمثيل الثورة وإعطاء الصورة الصحيحة عنها.

يحن أبو فاروق إلى أيام التظاهر السلمي ويقول: «كان الشعب إيد وحدة»، ويعتبر أن تلك اللحظات كانت الأجمل في حياته، فحين كان الأمن يداهمهم في المظاهرة كان يخاف على أصدقاءه أكثر من خوفه على نفسه، ويضيف: «هذا ما نحتاجه في هذه الأيام لننتصر على عدونا، التكاتف والتماسك والخوف على بعضنا وإيثار الغير على النفس».

يعتبر أبو فاروق أن أسوء ما جرى للثورة هو تكالب دول العالم عليها (خصوصاً من يدعون الصداقة للثورة وللشعب السوري) ومحاولة إفشالها والالتفاف عليها، ويقول أن هؤلاء لم يقدموا أي مساعدة للثورة، بل على العكس ساهموا في تفتيتها ووضع العوائق في طريقها.

تحتاج سوريا إلى الكثير من الوقت لتعود إلى عافيتها، لكن الخطوة الأهم حالياً هي إعادة التماسك إلى صفوف الثورة وتصفية القلوب والتوحد في وجه النظام المجرم وصولاً إلى هزيمته وإسقاطه.

يحلم أبو فاروق بسوريا أن تكون دولة الحرية والعدالة والمساواة، ويوّد العودة لحياته الطبيعية ودراسته بعد الثورة، وأن يشارك في بناء ما تهدّم من وطنه. لا يعلم بعد ما هو دوره في سوريا المستقبل، لكنه جاهز لتحمل أية مسؤولية تفرضها عليه الظروف.

كريكاتير العدد

جريدة الكتائب

رئيس التحرير
فاضل الحمصي

فريق التحرير
د. مصعب سليمان الجمل
أ. مصطفى القاسم
الشيخ أبو الحسن
بشار إدلبي
أصلان أصلان
عبد الرزاق زقزوق

إعداد وإخراج
أنس أبو ابراهيم

للمتابعة والتواصل
alktaeb-newspaper@hotmail.com | www.fb.com/alkataebjareda